سُورَةُ الفَاتِحَةِ

لِدِرَاسَةِ العَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ

بقلم
ديبان اروانطا

جامعة بني فتاح الإسلامية
جومبانج

سورة الفاتحة لدراسة العقيدة والشريعة

بقلم

ديان ايروانطا

الكتاب: سورة الفاتحة لدراسة العقيدة والشريعة
المؤلف: ديان ايروانط
المحقق: د. نور خاتص
الناشر: مكتبة جامعة الإسلامية بني فتاح (IAIBAFA Press)
عدد الصفحات: 157
قياس الصفحات: 14x20
م . ١٤٢٦ هـ سنة الطباعة: ٢٠٠٥
جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظ
مكتبة جامعة الإسلامية بني فتاح
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً
مكتبة جامعة الإسلامية بني فتاح
طبعة :
طريق كياهي حج عبد الوهاب حسب الله 120 تامباك براس جومبانج
هاتف: 0321855530
الموقع الإلكتروني : www.iaibafa.ac.id
Maktabah IAIBAFA Press
Jl. KH. Abd. Wahab Hasbulloh 120 A Tambakberas Jombang
Telp: 0321855530
Website: www.iaibafa.ac.id

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمِ

تقريظ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، اللهم صل على سيدنا محمد قد ضاقت حيلاتي أدركني يا رسول الله و أسئل الله أن يهديك سواء صراطه المستقيم.

نحن نسمي هذه المخطوطة الصغيرة "سورة الفاتحة لدراسة العقيدة والشريعة" وهي دراسة علمية في فهم اختلاف واتفاق علماء أهل السنة والجماعة في أركان الدين الثلاثة (العقيدة والشريعة والتزكية) في سورة الفاتحة. وهذا الكتاب ليس تفسيراً، بل هو ملاحظات من آراء العلماء في الدراسات المتعلقة بمعنى سورة الفاتحة. ومن المشاكل أن كثيراً من الناس يدرسون العلوم الدينية بعيداً عن علماء أهل السنة والجماعة، بل ويهربون من أئمة مذهبهم، وهناك مصطلح آخر يقول: لنرجع إلى القرآن والحديث، فيدرسون القرآن والحديث مباشرة دون اتباع العلماء.

جزيل الشكر لجميع معلمينا من معهد الإسلامية المحبين بحر العلوم تامباك براس جومبانج ومعهد الإسلامية فتح الهداية لامونجان ومدرسة معلمين ومعلمات بحر العلوم تامباك بيراس وجامعة الإسلامية بني فتاح جومبانج وجامعة الإسلامية الحكومية كديري الذين أرشدونا وعلمونا، ونخصّ بالذكر الشيخ الحج محمد جمال الدين بن أحمد والشيخ الحج محمد إدريس بن جمال الدين و الشيخ الحج مشهدي حفظهم الله حفظا تاماً ورعهم الله رعاية كاملة لهم ولجميعهم آمين يا رب العالمين، وشكرا

جزيلا للوالدين اللذين قاموا بتربية أبنائهم وتعليمهم، دعاءنا لن تنتهي لهم جميعا. وبالله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين.

لامونجانج، ٢٢ مايو ٢٠٢٥

ديان ايروانطا

فهرس

ثلاثة في أصول الدين

عقيدة.....

شريعة.....

تصوف.....

تفسير بسملة

إتجاه الإعتقادي في تفسير البسملة .....

إتجاه الفقهي في تفسير البسملة .....

إتجاه الصوفي في تفسير البسملة .....

عقيدة في الأسماء الله

تفسير أيات.....

حميد.....

ذو الجلال والإكرام .....

رب .....

مالك الملك.....

رحمن رحيم.....

مالك .....

عقيدة في الصفات الله

تفسير أيات .....

وجود .....

مخالفة للحوادث .....

قدرة .....

أخلاق في العبادة

تفسير أية .....

إخلاص .....

رياء .....

حقيقة في العبادة

تفسير أية .....

خشوع .....

مراقبة .....

محبة .....

شريعة في العبادة

تفسير أية .....

عبادة محضة .....

عبادة غسر محضة .....

أديان

تفسير أيات .....
إسلام .....
يهودي .....
نصراني .....

ثلاثة في أصول الإسلام

تعريف العقيدة

تعريف العقيدة في اللغوي: قال ابن فارس عقد هو العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، مثل: عاهدته، وهو العقد والجمع عقود اليمين، ومنه قول الله تعالى: يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَوْفُوْا بِالْعُقُوْدِ، والعقد: عقد اليمين، ومنه قوله تعالى: وَلٰكِنْ يُّؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُّمُ الْاَيْمَانَ.[1]

العقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني عقدت يمينه نحو: عقد النكاح وعقد البيع والعهد وغيرذلك، واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب حتى قيل: العقيدة ما بدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك.

ومن هنا جاء تعريف العقيدة والاعتقاد، كما في المعجم الوسيط العقيدة : الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده والعقيدة في الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعث الرسل والجمع في مسائل الايمان.

تعريف العقيدة في الاصطلاح الشرعي: هو الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك وتكون يقينا عندك ولا يخالطه شك, وإذا كان الاعتقاد

[1] سورة المائدة : 1.

غير مطابق للواقع الثابت ولا يقوم على دليل، فهو ليس عقيدة صحيحة سليمة، وإنما هو عقيدة فاسدة وضلالة كإعتقاد النصارى بالألوهية عيسى وبالتثليث.[2]

العلاقة بين العقيدة والتوحيد

وقد يفرق بينهما اصطلاحا باعتبار أن علم التوحيد هو العلم الذي يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة المرضية، وأن علم العقيدة يزيد عليه برد الشبهات الأدلة الخلافية فيجتمعان في معرفة الحق بدليله وتكون العقيدة أعم موضوعا من التوحيد لأنها تقرر الحق بدليله وترد الشبهات الأدلة.

ومن أصبحت كلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله، تشير إلى كل جوانب العقيدة ومسائلها فإن الوحدانية تتضمن الاعتراف بالله بأنه المعبود بحق، وهو تعريف لكل كمال وإنما كانت الوحدانية أهم مقاصد العلوم جميعا، لانها هي وحدها العقيدة التي كفرها أكثر الناس فهم يعرفون الله تعالى بقدرته وعلمه وإرادته وأنه خالق السموات والارض.

أن الماتريدية إثبات الواجب للعالم في الاستدلال على وجود أسمائه تعالى وصفائه بأن العبارة التي بصفاته عز وجل العلم والقدرة والإرادة غير أن نسبة تلك الصفات إلى الخالق هل يوجب التشابه بالمخلوقات فبالتالي تعارض مبدأ عقيدة التوحيد؟

---

[2] عبد الله عبد الكريم العبادي، *مدخل لدراسة العقيدة والشريعة*، (مكتبة السودي للتوزيع، 2003م)، ص 119-121.

فقد أصبح بالتالي البيان الإلهي للصفات في قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ، لا يشبيه المخلوقات في مثل هذا التوصيف لذات الله تعالى ومن عبارات الماتريدي حول بيانه بالصفات الإلهية بأنه يطلق عبارة «الأسماء الذاتية» الكليات هي من حيث صيغتها صفات مثل الحي والعالم والقادر والرحمن، وأما المصدر لتلك الكلمات مثل الحياة والعلم والقدرة فهي كلمات يسميها «الصفات الذاتية».[3]

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: اعلم أن حقوق الله تعالى على القلوب منقسمة إلى المقاصد والوسائل، فأما المقاصد فكمعرفة ذات الله وصفاته، وأما الوسائل فكمعرفة أحكامه تعالى، فإنها ليست مقصودة لعينها وإنما مقصودة للعمل بها، وأما المقاصد في حقوق الله تعالى أنواع: معرفة ذات الله وحياته وعلمه وإرادته وقدرته وسمعه وبصره وكلامه سبحانه وتعالى بالأزلية والأحدية.[4]

قال الله تعالى: هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ # هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ # هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ،[5] قال البيهقي: فأشار في هذه الآيات إلى فصل أسماء الذات من أسماء الفعل إلى سائر

---

[3] أبي منصور محمد بن محمود الماتريدي، *كتاب التوحيد*، (بيروت: دار صادر،1422هـ)، ص 37.

[4] عز الدين بن عبد السلام، *رسائل في التوحيد*، (بيروت لبنان: دار الفكر، 1415هـ)، ص 30.

[5] سورة الحشر: 22-24.

ما ذكر في كتابه من أسماء الذات وأسماء الفعل، فلله عز اسمه أسماء وصفات، وأسماؤه صفاته، وصفاته أوصافه، وهي على قسمين: أحدهما: صفات ذات و صفات فعل.

فصفات ذاته ما يستحقه فيما لم يزل ولا يزال، وهو على قسمين: عقلي وسمعي، فالعقل: ما كان طريق إثباته أدلة العقول مع ورود السمع به، وهو يوصف الواصف له بأنه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم فدلت هذه الأوصاف على صفات زائدة على ذاته قائمة به كحياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه، وأما السمعي: ما كان طريق إثباته الكتاب والسنة فقط، كالوجه الله واليد الله والعين الله، وهذه أيضا صفات قائمة بذاته.

وأما صفات فعله: فهي مستحقة له فيما لا يزال دون الأزل، لأن الأفعال التي اشتقت منها لم تكن في الأزل، وهو كوصف الواصف له بأنه خالق، رازق، محيي، مميت.

ولكن رأي بعض العلماء أن الصفات هي عين ذاته تعالى لأن حقيقة الذات غير حقيقة الصفات وهي قائمة بذاته تعالى، ومذهب أهل السنة أن صفات الذات الزائدة عليها معه قائمة بها وقالوا ان الله تعالى حي بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلم، وهذه الصفات تسمى صفات المعاني، وهي صفات أزلية قائمة بذاته زئدة عليها، فذهب الإمام أبو

الحسن الأشعري وأكثر أتباعه إلى أنها صفة زئدة على الذاة قائمة يعني من المعاني، وذهب الإمام الباقلاني وإمام الحرمين والإمام الرازي والإمام البيضاوي أن الصفات من السلبية كالوحدانية والقدم والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس وهي غير قائمة بذاته، فهي أمور عدمية، أي لا تحمل معنى زائدة على الذات وصفات الذات وجودية.[6]

وقد أطبق العلماء على أن علم أصول الدين أشرف العلوم قطعا لكون معلومه أسمى وأشرف المعلومات، فإن معلومه ذات الله تعالى التي لا تشبهها ذات، وصفاته تعالى المنزهة عن الحدوث والتغيرات، وأفعاله جل وعز التي لا يشاركه فيها الحادثات ثم إن من أشرف مباحث علم أصول الدين المباحث المتعلقة بأسمائه سبحانه تعالى.

نتيجة في هذه النسخة أن العلاقة بين العقيدة والتوحيد هي عندما يؤمن العبد بأن الله هو رب العالمين ويؤحد العبد الله توحيدا، فيجب أن يعرف الله بأسماءه وصفاته وأفعاله في مباحث علم الكلام :

1. أسماء الله

إن لله تسعة وتسعين أسماء هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ،

[6] عبد الوهاب الشعراني، *مختصر الإعتقاد للإمام البيهقي*، (مصر: دار الكرز، 2008م)، ص 211-213.

الصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعال، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع الضار، النافع، النور، الهادي البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور.

2. صفات الله

الصفات الواجبة لله تعالى : الصفات النفسية: وهي عبارة عن الصفات التي تدل على الوجود الذاتي لله عز وجل دون معنى زائد وهي: الله، الإله. الصفات السلبية: وهي التي تسلب عن الله عز وجل ما لا يليق به وأصولها خمسة، وهي: القدم، البقاء، مخالفته للحوادث، قيامه بنفسه، الوحدانية. صفات المعاني: وهي الصفات القائمة بالذات الإلهية التي توجب لله حكماً، وهي: الحياة، العلم، الإرادة، القدرة، الكلام، السمع والبصر. الصفات المعنوية: وهي التي تدل على كونه تعالى متصفاً بأنه: حي، عليم، مريد، قادر، متكلم، سميع وبصير.

العلاقة بين العقيدة والإيمان

أن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمنًا إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث, قال أبو منصور الماتريدي: أحق ما يكون به الإيمان القلوب، قول الله تعالى: قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ[7] أبطل أن يكون قولهم إيمانا إذا لم تؤمن قلوبهم، وقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُوْلُ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَۘ،[8] بين أن الإيمان حقيقة حيث يعلم الله به وحده ونفي أن يكون الذي قالوا بالسنتهم إيمانا إذا خالفت قلوبهم ذلك،[9] ولم يجعل لهم إيمانا باللسان ومنع ذلك بإيمان القلب، فثبت أن القلب هو موضع الإيمان وألا يشهدوا باللسان دليل على أن ذلك الإيمان.

العقيدة هى الإيمان وهو ما يعتقده القلب ويؤمن به، فالعقيدة والإيمان شيئ واحد وهما من أعمال القلوب وهى الأصل والأساس لهذا الدين فلا دين بدون عقيدة صحيحة ولا دون إعتقاد صحيح على موجب الكتاب والسنة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره كعقيدة أهل السنة والجماعة.

---

[7] سورة المائدة: 41.

[8] سورة البقرة: 8.

[9] أبي منصور محمد بن محمود الماتريدي، *كتاب التوحيد*، (بيروت: دار صادر،1422هـ)، ص 471.

قال الله تعالى : الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَ مِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ # وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ أُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ،[10] وهذا يدل على أن الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان لأن ظواهر الأحكام باللسان والأركان دليلا حقيقة الإيمان هو معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علما والتصديق به عقدا والإقرار به نطقا والعمل به ظاهرا وباطنا، وأصول العقائد التي طالب الإيمان بها أنواع هي:

1. الإيمان بالله

التصديق بوجود الله وتوحيده، وأنّه سُبحانه وحده المستحَق للعبادة والإيمان بكل ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات الكمال والجلال، فالإيمان بالله يشتمل على تصديق القلب بربوبية الله ووحدانيته وأنها أهم أصل من أصول الدين، قول الله تعالى: قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ،[11] وقوله تعالى: قُلْ اِنَّ صَلَاتِيْ وَنُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيْ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ.[12]

2. الإيمان بالملائكة

التصديق والاعتقاد الجازم بوجودهم وبصفاتهم التي وردت في كتاب الله إيمانا تاما وعددهم فلا يعلمه إلا الله، قول الله تعالى: عَلَيْهَا مَلٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُوْنَ

[10] سورة البقرة: 2-3.

[11] سورة الإخلاص: 1.

[12] سورة الأنعام: 162.

اللهَ مَآ اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ،[13] وقوله تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ.[14]

3. الإيمان بالكتب السماويّة

التصديق بجميع الكتب السماوية تصديقا خاصا لما ذكره الله كالقرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه والسلم والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام والوبور الذي أنزل على داود عليه السلام والتورة الذي أنزل على موسى عليه السلام، قول الله تعالى: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ،[15] وقوله تعالى: وَاِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلٰى عَبْدِنَا فَأْتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِه.[16]

4. الإيمان بالرسل والأنبياء

التصديق بكلّ ما جاؤوا به من الأخبار عن الله تعالى والإيمان بالمعجزات ودلالة على صدق تبليغهم عن الله، قول الله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّيْنِ مَا وَصّٰى بِهٖ نُوْحًا وَّالَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهٖٓ اِبْرٰهِيْمَ وَمُوْسٰى وَعِيْسٰٓى اَنْ اَقِيْمُوا الدِّيْنَ

[13] سورة التحريم: 6.

[14] سورة فصلت: 30.

[15] سورة المائدة: 48.

[16] سورة البقرة 23.

وَلَا تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ،[17] وقول الله تعالى: ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُوْلٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِه وَلَتَنْصُرُنَّهٗ.[18]

5. الإيمان باليوم الآخر

التصديق بكل ما جاء به الله تعالى وجاء به نبيّه صلى الله عليه والسلم من أخبار غيبية متعلقة بذلك اليوم، ومرحلة ما بعد الموت ثم بعث الخلائق ثم مسيرها إلى أرض الحشر ثم وقوفها للعرض والحساب ثمّ وضع الميزان ثم الصراط ثم المصير الأخير في ذلك اليوم يدخول الجنة أو النار، قول الله تعالى: اِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ # لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ،[19] وقول الله تعالى: وَيُحْيِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُوْنَ.[20]

6. الإيمان بالقضاء والقدر

التصديق بأن الله تعالى قد قدر كل ما هو كائن وجعل لكل شيء قدرا من الخير والشر، قول الله تعالى: مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ،[21] وقول الله تعالى: وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا[22].[23]

---

[17] سورة الشورى: 13.

[18] سورة ال عمران: 81

[19] سورة الواقعة: 1-2.

[20] سورة الروم: 19.

[21] سورة الحديد: 22.

[22] سورة الأحزاب: 23.

[23] محمود شلتوت، *إسلام عقيدة وشريعة*، (دار الشروق، 1412هـ)، ص 27-50.

نتيجة في هذه النسخة أن العلاقة بين العقيدة والإيمان هي إذا أثبت العبد اعتقاده في الإيمان فإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان، وقد دل على معنى الإيمان نصوص الكتاب والسنّة ويطلق عليه عادة أركان الإسلام التي تشمل: الإيمان بالله والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب السماويّة والإيمان بالرسل والأنبياء والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر.

تعريف الشريعة

تعريف الشريعة في اللغوي شرع الشين والراء والعين أصل واحد منها: المذهب والطريق المستقيم وموارد الماء وسن، قال ابن منظور: الشريعة والشرعية هو ما سن الله من الدين وأمر به، كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر وقال بعض العلماء: شرع وشرْعً وشريعة ومشرعة، وهو طريقة الإلهية، قوله تعالى: شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ،[24] تسمى الشريعة هي كل ما شرع الله تعالى لعباده في الدين، ويدخل في هذا التعريف كافة الأحكام المستنبطة من القرآن الكريم و السنة النبوية.

وقد وردت الشريعة في القرآن الكريم بفتح الشين بمعنى السنة والطريقة، ومنه قول الله تعالى : ثُمَّ جَعَلْنٰكَ عَلٰى شَرِيْعَةٍ مِّنَ الْاَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَآءَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ،[25] وقد وردت لفظ مادة شريعة مضموم الشين بمعنى الظاهرة، ومنه قوله

[24] سورة الشورى: 13

[25] سورة الجاثية: 18.

تعالى: اِذْ تَأْتِيْهِمْ حِيْتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَّيَوْمَ لَا يَسْبِتُوْنَۙ،[26] وقد وردت مكسورة الشين بمعنى المنهاج، ومنه قوله تعالى: وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّۗ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَّمِنْهَاجًاۗ.[27] [28]

قال ابن عباس: شرعة ومنهاجا أي سبيلا وسنة وقال قتادة: شرعة ومنهاجا أي الدين واحد والشريعة مختلفة، والشريعة: ما شرع الله لعباده من الدين وقد شره لهم يشرع شرعا، أي سن والشارع: الطريق الأعظم ويقال الشرعة: ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم.

تعريف الشريعة في الاصطلاح الشرعي: ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم كانت متعلقة بكيفية عمل، وتسمي فرعية وعملية ودون لها علم الفقه أو بكيفية الاعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية دون لها علم الكلام.

من هذه التعريفات والنصوص التي نقلناها عن أهل الأصول في المصطلحات، أن الشريعة نطلق على معان متعددة :

---

[26] سورة الأعراف: 163.

[27] سورة المائدة: 48.

[28] عبد الله عبد الكريم العبادي، *مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية*، (جدة: مكتبة السوادي،2003 م)، ص 16-15.

1. الشريعة في كل ما أنزله تعالى على نبي من أنبيائه، وهي تنتظم الاعتقاد والأحكام العملية والأخلاق، فهي ما شرعه الله من الاعتقاد والعمل
2. الشريعة هي ما خص الله تعالى به كل نبي من الأحكام وما سنه لأمته، مما يختلف من دعوة نبي الآخر من المناهج وتفصيل العبادات والمعاملات، وهنا نقول إن الدين في أصله واحد والشرائع متعددة
3. الشريعة هي ما شرعه الله لجميع الرسل من أصول الاعتقاد والبر والطاعة مما لا يختلف من دعوة كل نبي
4. الشريعة خاصة على العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان مثل: اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل.[29]

إن الشريعة ومقاصدها امتثال المأمور واجتناب المحظور أو طاعة الله ورسوله فهو المبادئ العامة والقواعد الكلية الكبرى التي بها تتحقق طاعة الله ورسوله والاستسلام لأمره ونهيه وهذا المعنى لا يراد به إلا علم الشريعة، فإن هذه الشريعة جاءت بالمصلحة ونهت عن المفسدة، فالشريعة عدل بين الله وبين عباده، ورحمته في هذه الشريعة بينة واضحة، وقد أحاطت هذه الشريعة بجميع أحوال الإنسان.

العلاقة بين الشريعة والفقه

[29] عبد الله عبد الكريم العبادي، *مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية*، (جدة: مكتبة السوادي،2003 م)، ص 114-115.

الشريعة هي الدين كله الذي اصطفاه الله لعباده ليخرجهم به من الظلمات إلى النور، وهو ما شرعه لهم وبينه لهم من الأوامر والنواهي والحلال والحرام والفقه يشمل أحكام الشرعية كافة فكان يخص الأحكام المتعلقة بالأحكام التي تتعلق بالعبادات والمعاملات والجنايات والأحوال الشخصية والوصايا والمواريث، وهذا يدل على أن الفقه الإسلامي كان مرادفا للشريعة والدين، لأن الأحكام الشريعة يدل على أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليست فقها بل مصادر الفقه التي تستنبط منها الأحكام التي تسما فقها.

فقد ذكر الشيرازي أن الفقه العلم بالأحكام الشرعية العملية بالإستدلال أو من طريق أدلتها تفصيلية، وبهذا يتبين لنا أن الفقه عند الأصوليين هو الأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية كما ذكر التفتازاني عن أصحاب الشافعي، ولكن عند أبن الهمام أن الفقه التصديق لأعمال المكلفين التي تقصد الاعتقاد بالأحكام الشرعية القطعية مع ملكة الاستنباط.

ان معرفة الأحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية بالعملية يدل على أن علم الفقة ومسائلها العام المرادف للفظ الشريعة والدين لأن الأحكام العملية هي الأحكام التي تنظم العلاقة بين الإنسان وربه كأحكام العبادات أو بين الإنسان والمجتمع كأحكام المعاملات وكذلك العلاقة بين الأحكام الشرعية والشريعة: الفقه بالأدلة التفصيلية يخرج بالأحكام التي لم تستنبط من القرآن الكريم والسنة النبوية

فهي الدلالة ظنية لأن الفقه يجب أن يكون مستنبطة من الشريعة وأن كل فقه شريعة وليس كل شريعة فقها نظرا لتقيد الفقه بالأحكام العملية.

إن القرآن الكريم كله قطعي الدلالة وأما السنة النبوية فأن الأحاديث الصحيحة قطعية الدلالة وتسمى الأحاديث الضعيفة ظنية الدلالة، والأحكام الشريعة المستنبط من القرآن الكريم والحديث النبوي فمنها قطعي الدلالة وظني الدلالة لأن الدليل القطعي ليس الفقهيا والدليل الظني مختلف في قوة الإستدلال به فهو الفقه، وكذلك ما يسمى بالشريعة هو نص واضح من القرآن والحديث ليس في تفسير متعددة كوجوب الصلاة، وما يسمى بالفقه هو استنبط الأحكام في الشريعة من القرآن والحديث باجتهاد العلماء ككيفية الصلاة.[30]

فالفقه يختص بالبحث عن الأحكام العملية ولا يبحث عن الأمور العقدية فهو جزء من الشرعية والشريعة أعم منه، وأما من أراد من التفريق بأن الشريعة هي: ما ينظم علاقة العبد بالله وهي منزلة من عند الله والفقه هو: استنباط الفقهاء فلهم أن يستنبطوا من الأحكام ويُعملوا عقولهم دون التقيد بنصوص الشريعة والمصادر التي اعتمدتها.

[30] خالد رشيد الجميلي، *المدخل في دراسة الشريعة الإسلامية*، (بغداد: دار الكتب والوثائق،010م)، ص 41-44

الحكم الشرعي هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أو تخييرا أو وضعا، كذلك ينقسم إلى قسمين: حكم شرعي تكليفي، وحكم شرعي وضعي، أما الحكم الشرعي التكليفي ينقسم إلى خمسة أقسام: الفرض والسنة والحرام والمكروه والمباح، وهي كما قال في صفوة الزبد :

حكام شرع الله سبع تنقسم # الفرض والمندوب والمحرم

الرابع المكروه، ثم ما أبيخ # والسادس الباطل واختم بالصحيح

1. الفرض: ما طلبه الشارع طلبه جازما، حكمه: يثاب فاعله ويعاقب تاركه ومرادفاته: المكتوب والواجب والركن واللازم
2. السنة: ما طلبه الشارع طلبه غير جازم، حكمها: يثاب فاعلها امتثالا ولا يعاقب تاركها ومرادفاتها: المندوب والمستحب والحسن، والمرغب فيه والتطوع والنافلة والفضيلة
3. الحرام: ما نهى عنه الشارع نهيا جازما، حكمه: يثاب تاركه امتثالا ويعاقب فاعله مرادفاته: المحظور والممنوع والذنب، والمعصية
4. المكروه: ما نهى الشارع عنه نهية غير جازم، حكمه: يثاب على تركه امتثالا ولا يعاقب على فعله
5. المباح: ما كان تركه وفعله على السواء، حكمه: لا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه إلا بالنية الصالحة فيثاب ومرادفاته: الجائز والحلال والطلق.

أما الحكم الشرعي الوضعي فهو خطاب الله الوارد بكون الشيء سببا أو شرطة أو مانعة أو صحيحا أو فاسد فينقسم إلى خمسة أقسام:

1. السبب: ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته
2. الشرط: ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود ولا عدم لذاته
3. المانع: ما يلزم من وجوده العدم ومن عدمه الوجود ولا عدم لذاته
4. الصحيح: ما استجمع الشروط المعتبرة فيه سواء أكان عبادة أم معاملة
5. الفاسد أوالباطل: هو الذي فقد بعض شروط الصحة سواء أكان عبادة أم معاملة.[31]

نتيجة في هذه النسخة أن العلاقة بين الشريعة والفقه هي شرع الله لعباده المكلفين من الأحكام المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية باجتهاد العلماء ثم يتم الدلالة التفصيلية فيبحث في مسائل علم الحلال والحرام:

1. حكم التكليفي

ينقسم الحكم التكليفي إلى خمسة أقسام: الواجب والسنة والمباح والمكروه والحرم، وهذا بناء على أن التكليف هو الخطاب بأمر أو نهي

2. حكم الوضعي

[31] زين بن إبراهيم بن سميط، *التقريرات السديدة في المسائل المفيدة*، (المدينة المنورة: مكتبة الملك، 2003م)، ص 49-52.

ينقسم الحكم التكليفي إلى سبعة أقسام: السبب والشرط والمانع والصحة والبطلان والرخصة والعزيمة.

العلاقة بين الشريعة والإسلام

الشرائع السماوية تشمل أحكامها من عدة مصادر فالشريعة اليهودية تشمل أحكامها أساسا من كتاب الله المنزل على نبي موسى بن عمران والمسمى بالتوراة كما أن الشريعة المسيحية تشمل أحكامها من كتابي الإنجيل، وأما الشريعة الإسلامية فإنها تشمل أحكامها من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة ومن إجماع العلماء على حكم من الأحكام في عصر من العصور بعد وفاة النبى محمد صلى الله عليه سلم مثل الإجماع الصحابة والعلماء والقياس في إثباته حكم فرعى قياسا على حكم أصلى لعلة جامعة بينهما.

فإن الشرائع السماوية متفقة على أمرين:

1. الأمور الاعتقادية، من حيث الإقرار بوجود إله خالق رازق محى مميت موجد لهذا العالم، ومرسل للرسل وما يحملون من شرائع.
2. الدعوة إلى مكارم الأخلاق، مثل الوفاء بالعهود والعقود والإخلاص في الأقوال والأفعال وأداءالأمانات وغير ذلك مما تدعوا إليه هذه الشرائع ولكنها تختلف من حيث الأحكام العملية في العبادات فلكل شريعة أحكامها الخاصة بها.

إن الشريعة اسم النظم والأحكام التي شرعها الله أو شرع أصولها وكلف المسلمين إياها ، ليأخذوا أنفسهم بها في علاقتهم بالله وعلاقتهم بالناس: العمل الذي يتقرب به المسلمون إلى ربهم، وهذه المعروفة في الإسلام باسم العبادات والعمل الذي يتخذه المسلمون سبيلا لحفظ مصالحهم ودفع مضارهم فيما بينهم وبين أنفسهم وفيما بينهم وبين الناس على الوجه الذي يمنع المظالم، وهذه المعروفة في الإسلام باسم المعاملات.

والعبادات هي الصلاة والزكاة والصوم والحج، وأن المقصود من هذه الشريعة هي الإقرار بوحدانية الله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي تبعث على امتثال أوامره والمحافظة على شرائعه في جميع نواحيها، كانت هي العمد التي يبنى عليها الإسلام، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ البَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا.[32]

إن الشريعة في الإسلام هي العبادة عمل يتقرب به العبد إلى مولاه, وأما العبادات في شرع الله أنواع :

1. الصلاة

[32] محمود شلتوت، *إسلام عقيدة وشريعة*، (دار الشروق، 1412هـ)، ص 73.

الصلاة عبادة بدنية فرضها الله على المسلم في اليوم والليلة خمس مرات في أوقات محدودة، وهي من الفرائض وركن في الإسلام التي ذكرت في القرآن الكريم, وقول الله تعالى: ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ،[33] وقوله تعالى : حَافِظُوْا عَلَى الصَّلَوٰتِ وَالصَّلٰوةِ الْوُسْطٰى وَقُوْمُوْا لِلّٰهِ قٰنِتِيْنَ،[34] وقوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ # الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.[35]

2. الزكاة

الزكاة عبادة مالية واجبة على الغني عن حاجته وحاجة من ينفق عليهم من التجارية ومواشي وثمار زرع لأن الزكاة ركنا من أركان الدين وفريضة من أركان الإسلام وبذلك فريضة الزكاة، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم التي ذكرت في القرآن الكريم، قول الله تعالى: خُذْ مِنْ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيْهِمْ بِهَا،[36] وقوله تعالى: وَيُؤْتُوا الزَّكٰوةَ وَذٰلِكَ دِيْنُ الْقَيِّمَةِۗ،[37] وقوله تعالى: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.[38]

---

[33] سورة العنكبوت: 45.

[34] سورة البقرة: 238.

[35] سورة الماعون: 4-5.

[36] سورة التوبة: 103.

[37] سورة البينة: 5.

[38] سورة التوبة: 34.

3. الصوم

الصوم العبادة الدينية وهو الامتناع عن الأكل والشرب والملابسة الجنسية طول النهار من الفجر إلى غروب الشمس بقصد امتثال أمر الله في شهر رمضان من كل عام وقد فرضه الله فرضا عاما على جميع القادرين الذي ذكر في القرآن الكريم, قول الله تعالى: يَآيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ،[39] وقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ.[40]

4. الحاج

الحاج عبادة معروفة تنتظم من الإنسان قلبه وبدنه وماله يقوم بها المستطيع من المسلمين في زمن معلوم وأمكنة معلومة امتثالا لأمر الله وابتغاء مرضاته، وتبتدئ تلك العبادة بنية الحج لله وتنتهي بالطواف حول بيت الله الحرام الذي ذكر في القرآن الكريم، قول الله تعالى: وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ،[41] وقوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.[42]

---

[39] سورة البقرة: 183.

[40] سورة البقرة: 185.

[41] سورة الحاج: 27.

[42] سورة ال عمران: 96.

نتيجة في هذه النسخة أن العلاقة بين الشريعة والإسلام هي أمر الله أن يقوم بالعبادة لعباده في الدين ويطلق عليه عادة أركان الإسلام التي تشمل: الصلاة والزكاة والصوم والحج.

تعريف التصوف

يقول النواوي: فأما كلمة التصوف فقد أجمع الكاتبون في هذا المقام على أنها من الكلمات الاصطلاحية في أواخر القرن الثاني للهجرة، فالصوفية يقرون بأن مصطلح حادث لكنهم يقولون: الأحوال الصوفية موجودة منذ عهد النبي تمثلت في أهل الصفة ولأجله ذهب بعضهم إلى أن أصل التصوف مشتق من الصفة وهو مكان كان يسكن إليه الفقراء في مسجد النبي ونسب إليهم كلمات في المقامات والأحوال.

والوصف المشترك بين جميع من نسبوا إلى التصوف من أئمة القرون الثلاثة الأولى هو: الزهد في متاع الحياة الدنيا ومجاهدة النفس ونفي عيوبها فهذا تمثل التصوف في الزهد والمجاهد فكل زاهد مجاهدي متصوف، ومن له حال في الزهد والمجاهدة فهو صوفي، فيقال: رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية فيام ولا اشتقاق والأظهر فيه: أنه كاللقب، وقد رجعوا بالكلمة التصوف إلى أربعة أصول، هي:

1. الصفة

التصوف مأخوذ من أهل الصفة، قال بعض العلماء: إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة، الذين كانوا على عهد رسول الله، وقيل: سموا صوفية نسبة إلى الصفة، وهذا لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكنه صحيح من حيث المعنى، لأن الصوفية كأحوال أصحاب الصفة.

2. الصفاء

الصفاء الأصل صفوي فجعل صوفي قال بشر بن الحارث: الصوفي من صفا قلبه لله، وأن جمهور الصوفية ذهبوا إلى أن الصوفي مشتق من الصفاء، وأنه أحد خاصة الله الذين طهر الله قلوبهم من كدورات الدنيا

3. الصف الأول

إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه

4. الصوف

الصوف نسبوا إلى ظاهر اللبس أن لبس الصوف كان شعار المساكين المتنسكين وصوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة، لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام فكان اختيارهم الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وسترة العورة واستغراقهم في أمر الآخرة وانصراف

همهم إلى أمر الآخرة، لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمص، إذا لبس القميص.[43]

وقد اختلفوا اختلافاً كثيرا في تعريفه كما اختلفوا في أصله واشتقاقه، بل اختلفوا هنا في تعريفه اختلافا كثيرا حتى تناقضت وتعارضت تعريفاتهم فمن الصوفي الذين أوردوا تعريفات عدة للتصوف:

1. قال إبراهيم بن أدهم: التصوف علو الهمم عما تنافست فيه الأمم مخافة عن تزل القدم والزهد فيما أحل الله تعالى لا فيما حرم
2. قال سر السقطي: الصفي هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بباطن من العلم ينقضه عليه ظاهر العلم ولا تحمله الكرامات على هتك أستار المحارم
3. قول ذو النون المصر وقد سئل عن تصوف أهو مشتق أو لقب؟ فقال: قيل صفوية فستروا ذلك الصفاء بالصفية على ستر العمل و كتمانه عما يوجب الرياء
4. قال الامام الجنيد البغداد : الصفي من يكون قلبه قلب إبراهيم عليه السلام سليما من حب الدنيا، ويكون خزنه خزن داود عليه السلام ويكون فقره فقر عيس عليه السلام ويكون صبره صبر أيوب عليه السلام ويكون شوقه

[43] لطف الله بن عبد العظيم الخوجه، *الإنسان الكامل في فكر الصوفي*، (رياض: دار الفضيلة، 1439هـ)، ص 83-84.

شوق موسى عليه السلام عند المناجاة ويكون إخلاصه إخلاص نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، والتصوف مبني على ثمان خصال الخاء والرضا والصبر والإشارة والغربة ولبس الصفي والسياحة والفقر، فالسخاء لإبراهيم عليه السلام والرضا لإسحاق عليه السلام والصبر أيوب عليه السلام والإشارة لزكريا عليه السلام والغربة ليحي عليه السلام ولبس الصوفي لموسى عليه السلام والسياحة العيس عليه السلام والفقر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

5. قال أبو جعفر النيسابوري: من هذه الأحواله والأخلاقه فقد أخذ العفو أمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
6. سئل أبو عثمان الحيري من الصوفي؟ قال: ما قال الله تعالى: رجال صدقوا ما عاهدوالله عليه وقال: الصوفي لا يعجب بعمله، لأن من أعجب بعمله فقد استخف نعم ربه
7. عن أبي يزيد البسطامي لما سئل عن التصوف فقال بلسان الشريعة أم بلسان الحقيقة أم بلسان الحق فقال القائل: ما معنى الألسنة الثلاثة ؟ فقال: أما بلسان الشريعة فتصفية القلب من الكدورة وإستعمال الخلق مع الخليقة وإتباع الرسول في الشريعة، وأما بلسان الحقيقة فعدم الجنايات والعتق من رق الشهوات والخروج من عين الشبهات ومحو أحكام الصفات والاكتفاء بخالق السموات. وأما بلسان الحق فإن الحق اصطفى الصوفية بصفاته عن صفاتهم فصافاهم فسموا صوفية. وقال أبو يزيد البسطامى: التصوف هو

طرح النفس في عبودية وتعليق القلب بالربوبية وإستعمال الأخلاق السنية والنظر إلى الله سبحانه بالكلية.[44]

العلاقة بين التصوف والأخلاق

التصوف في الحقيقة هو مرادف لما عبّر عنه القرآن بلفظ تزكية النفس وعبّر عنه الحديث بلفظ الإحسان والإحسان كما أوضح النبي المصطفى الكريم أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والتصوف هو المظهر الأخلاقي والروحي للإسلام وهو الطريق الموصل إلى التقوى وتزكية النفس والسمو الأخلاقي بالفضائل الروحية والأخلاقية، فالتصوف خُلق من زاد عليك بالخلق فقد زاد عليك في التصوف فهو الصوفي.

الكلمتين صوفي وسوفي فمدلولهما الحكمة، يبين هذا :

1. أن الصوفي عند الصوفية هو الحكيم، وهو صاحب الحكمة فمن لم يكن حكيما فليس له حظ من اللقب، هكذا يقرر ابن عربي: ومن شروط المنعوت بالتصرف: أن يكون حكيما ذا حكمة وإن لم يكن، فلا حظ له من هذا اللقب

[44] أبي سعيد عبد المالك بن محمد بن إبراهيم بن يعقوب النيسابوري، *تذهيب الأسرار في أصول التصوف*، (بيروت لبنان،دار الكتب العلمية،1971م)، ص 11-14.

2. كلمة سوفي باليونانية تعنى الحكمة كذلك والفيلاسوف هو محب الحكمة فإذا كانت الحكمة هي التصوف، والحكيم هو الصوفي والحكمة هي السوف، والحكماء هم السوفية.[45]

حقيقة التصوف هو التخلق بالأخلاق الإهية وليس التصوف رسما ولا علما، ولكنه خلق، لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة، ولو كان علما لحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله، ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم.

قال الامام الغزالي : التصوف هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي امر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية، حتى قيل: تخلفوا بأخلاق الله.

العلاقة بين التصوف والإحسان

التصوف هو مراقبة الأحوال ولزوم الأدب، أن يكون العبد في كل وقت بما هو أحسن به وكل من أطاع الله فهو محسن إلى نفسه بطاعته، فإن كان في طاعته نفع لغيره فهو محسن إلى نفسه وإلى غيره، وإحسانه إلى غيره قد يكون عاما وقد يكون خاصا، والإحسان عبارة عن جلب مصالح الدارين أو أحدهما ودفع

[45] أبي سعيد عبد المالك بن محمد بن إبراهيم بن يعقوب النيسابوري، *تذهيب الأسرار في أصول التصوف*، (بيروت لبنان،دار الكتب العلمية،1971م)، ص 94.

مفاسدهما أو مفاسد إحداهما فإرادة النفع إحسان لكوها سبب فيه وإرادة الضر إساءة لأنها سبب فيه.

الإحسان ينقسم إلى خفي وجلي وقليل وكثير، قول الله تعالى: فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَّرَهٗ،[46] قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ،[47] أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل والإحسان ونهي عن كل إثم وعدوان مرغبا في قليل الخير وكثيره وكتب الإحسان على كل شيء ولو نملة ونحلة حتى أمر بإحسان عبادته بأن نعبده كأننا نراه لنعظمه فإن لم نكن نراه فإنه يرانا فلنستحي من نظره إلينا واطلاعه علينا، إذ لا يخفى عليه شيء من أحوالنا وأقوالنا وأعمالنا، فطوبى لنا إن أطعناه والويل لنا إن عصيناه وقد أمرنا أن نحسن إلى عباده لما أحسن إلينا، وأن ننعم عليهم كما أنعم علينا.

الإحسان في الأعمال الظاهرة والباطنة تنقسم الوسائل المفضية إلى الخير، والمقاصد طاعات وهي وسائل إلى رضى الرحمن وما أعده الله في الجنان لأهل الطاعة وعمل

[46] سورة الزلزلة: 7.

[47] سورة النحل: 90.

بمقتضى المحبة الإجلال والمهابة ومراقبة والحياء منه أن يرانا حيث فانا، ولو قصدنا أن تقرب إليه بجميع أعمالنا بنية تتقوى بذلك على طاعته.[48]

والإحسان في التصوف هو يبدأ بالطاعة حتى ينتهي بالمرقبة على كل حال وسائر الأعمال كصدق وخشوع وخضوع وخضور فهو حقيقة التقوى سبيل النجاة في الدنيا والآخرة، لأن الذي يحسن بالتقوى يراعي الله في كل أعمال حتى في خواطر قلبه، وقد قسم العلماء التقوى إلى عدة مراتب: تقوى الجوارح وهي أن يكف الإنسان جوارحه كلها عن ارتكاب المحرمات والذنوب، كذلك في بيان رعاية العين واللسان والبطن :

1. العين

وأن خطر القلب وشغله وفساده في الأكثر من العين، ولذلك قال سيدنا علي رضي الله عنه : من لم يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة

2. اللسان

وأن خطر العبادة وإفسادها في الأكثر من اللسان، قال الإمام الشافعي: احفظ لسانك أيها الإنسان # لا يلدغنك إنه ثعبان

3. البطن

[48] عز الدين بن عبدالسلام، *سجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 2003م)، ص 113-114.

لا تطمع في العبادة مع أكل الحرام وأي نور في نفس بلا عبادة، سئل الإمام أحمد بن حنبل عن معني المتقين فيها فقال : يتقي الأشياء فلا تقع فيما لا يحل أي حرام.[49]

وتقوى النفس هي أن يجعل العبد نفسه للحق تعالى في الشر فينسب الشر لنفسه أدبًا مع الله، وهذه المرتبة في التقوى من مراتب الأولياء والعارفين، الذين خصهم الله تعالى باكتساب الآداب، وهم الذين اتقوا وأحسنوا بدخول الإحسان، فحصلوا على مراقبه تعالى كذلك في بيان رعاية القلب:

1. القلب

أنه أصل الكل إن أفسدته فسد الكل وإن أصلحته صلح الكل لأن سائر الأعضاء تبع وأركان، فإذن صلاح العين واللسان والبطن وغيره دليل على صلاح القلب، وإذا رأيت فيها فساد فاعلم أن ذلك من فسد في القلب، عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه قال: عالجت قلبي عشرة ولساني عشرة ونفسي عشرة فكان قلبي أصعب الثلاثة فهذه هذه.[50]

فاحفظوا أبصاركم وألسنتكم وبطونكم وقلوبكم وجميع جوارحكم عما حرم الله عليكم تكونوا من عباد الله المتقين الذين هم من المحسنين حتى إلى المقام الأعلى

---

[49] أبو حامد بن محمد الغزالي، *منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين*، (بيروت لبنان: دار المنهاج، 2006م)، ص 146-147.

[50] المرجع السابق، ص 149.

في مراتب الدين وهو أرفع درجة للمؤمنين بفعل الخيرات على أكمل وجه وتحسين الظاهر والباطن بالمجاهدات الروحانية فهو مقام الإحسان كذلك غاية مراد المريدين ومنتهى قصد السالكين.

اعلم أن حقيقة الإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه كما صرح به في علم التصوف هو مراقبة الله تعالى في جميع العبادات الشاملة للإيمان والإسلام حتى تقع عبادات العبد كلها في حال الكمال فهنا قد انكشف الحجاب عن القلب وصار في شهود، إذا علم العبد بأن الله تعالى يراه من شهوده هو للحق إشارة لطيفة أن صاحب مقام الإحسان إذا عبد الله كأنه يره لم يجد الفعل الا الله وحده فقد رأ في كلام سيدي علي بن وفا رضي الله عنه: أن أهل مقام الإحسان لا يتصور منهم معصية ما داموا في حضرة الإحسان وأن من هنا عصم الأنبياء وحفظ غيرهم من الأولياء لعكوف الأنبياء والأولياء في حضرة الإحسان، وأهل حضرة الإحسان أن يقعوا في خلاف الأولي لا في حرام ولا مكروه.[51]

نتيجة في هذه النسخة أن العلاقة بين التصوف والإحسان هي أن تعبد الله تعالى كأنك تراه سبحانه، وهو استحضار مراقبة الله تعالى بأن الله سبحانه مطلعٌ على أعمال العباد الظاهرة والباطنة.

[51] عبد الوهاب بن علي العرابي، *اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر*، (بيروت لبنان: دار إحياء التراث العرابي)، ص 508.

تفسير بسملة

الإتجاه الإعتقادي في تفسير البسملة

قوله بسم الله الرحمن الرحيم ففيه نوعان من البحث: النوع الأول قد اشتهر عند العلماء أن الله تعالى ألفا وواحدة من الأسماء المقدسة المطهرة وهي موجودة في الكتاب والسنة ولا شك أن البحث عن كل واحد من تلك الأسماء مسئلة شريفة عالية، والنوع الثاني من مباحث هذه الآية: أن الباء في قوله بسم الله باء الإلصاق، وهي متعلقة بفعل والتقدير: باسم الله أشرع في أداء الطاعات وهذا المعنى لا يصير ملخصا معلومة إلا بعد الوقوف على أقسام الطاعات، وهي العقائد الحقة والأعمال الصافية مع الدلائل والبينات ومع الأجوبة عن الشبهات، وإشارة الى ما ينبغي من الاعتقادات والعمليات فقوله بسم الله لا يصير معلومة إلا بعد الوقوف على جميع العقائد الحقة والأعمال الصافية وهذا هو الترتيب الذي يشهد بصحته العقل الصحيح والحق الصريح.[52]

اعلم أن في بسم الله الرحمن الرحيم دال الاسم وصفة الجلال وصفة الجمال فمعنى الباء إشارة إلى أن وجود هذه العوالم بي وليس لغيري وجود حقيقي لا بالاسم، فالعالم: أعني ما سوى الله بالاسم والمجاز وجود لا بالمعنى والحقيقة، ولهذا أشار بعضهم بقوله: ما نظرت في شيء إلا رأيت الله فيه، وصرح النبي صلى الله عليه

[52] محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، *تفسير الكبير ومفاتح الغيب*، (بيروت لبنان: دار الفكر، 1401هـ)، 12.

وسلم بقوله: لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله، فتحقيق بسم: إن وجودي بذاتي وهو الله وصفاتي كلها التي من قبيل الجلال ومن قبيل الجمال فبذات قائمة وما سواى وهو العالم اسم موجود، قول الله تعالى: فَسُبْحٰنَ الَّذِيْ بِيَدِهٖ مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَّاِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ،[53] وفيه إشارة أخرى: أن الخلائق محجوبون بحجاب أسماء أنفسهم وحجاب أسماء ما سواهم من العالم وقد تصوروا لكل اسم مسمى فوقعوا في الشرك والتفرقة الى الصراط المستقيم والتوحيد والوحدانية.[54]

وأما تقديم الاسم في بسم الله أن له الأسماء الحسنى، وبحسب كل اسم له صفة فإطلاق الاسم المطلق شامل لكل اسم من الأسماء والأسماء أصلها من الصفات ويدل عليها اسم، فعلى هذا وقع الابتداء بالله على كل اسم وصفة، والباء للتضمين أي: ابتدئي بأسمائي وصفاتي كلها، وأنا الله الرحمن الرحيم الذي كونت الكائنات وظهرت الموجودات أرتب سائر معايش أنواع المخلوقات عامة بالرحمانية وأرتب درجات معاد أهل الكرامات خاصة بالرحيمية.[55]

وأن كلمة الله أعظم الأسماء من وجوه:

١. أن الأخبار تدل على هذا ولقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دخل المسجد فإذا رجل يصلي ويقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّكَ أَنْتَ الله الوَحِدُ الأَحَدُ

---

[53] سورة يس: 83.

[54] محي الدين ابن عرابي، تفسير الفاتحة الكتاب وأسرار بسم الله الرحمن الرحيم، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 2003م)، ص 118.

[55] المرجع السابق، ص 119.

الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دُعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ.

٢. أن الاسم على نوعين: اسم ذات واسم صفة، فكما أن الذات أشرف من الصفة فكذلك اسم الذات أشرف وأعظم من اسم الصفة، وأن هذا الاسم الله اسم الذات وغيره من الأسماء أسماء الصفات فتعين أن يكون هو الاسم الأعظم.

٣. أن الصفات داخلة في الذات، والذات ليس بداخل في الصفات فأسماء الصفات تكون داخلة في اسم الذات، ولا يكون اسم الذات داخلا في أسماء الصفات، فعلمنا أن الاسم الأعظم هو اسم الذات لا أسماء الصفات وهذا متعين لذات.

٤. أن من عزة هذا الاسم وعظمته لا يجمع ولا يسقط منه الألف واللام عند النداء حتى لا تنفى حروف لفظه بخلاف الأسماء وهذا دليل واضح على أنه الاسم الأعظم.

٥. أنه لو أسقط حرف كان الثاني اسماء لله فإنك إذا أسقطت الهمزة بقي: لله وهو من صفات الله، قال الله تعالى: وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ،[56] وإن أسقطت اللام الأولى بقي: له وهو أيضا من صفات الله، قال الله تعالى: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، [57] وإن أسقطت اللام الثانية بقي: هو وهو أيضا من صفات الله،

[56] سورة ال عمران: 189.

[57] سورة البقرة: 107.

قال الله تعالى: هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ،[58] فلما لم توجد هذه الخاصية في الأسماء غيره وأنه الاسم الأعظم.

٦. أن الله تعالى لما علم حبيبه عليه الصلاة والسلام اسمه عند ثبات وحدانيته ونفي الألوهية عن غير ذاته قال: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ،[59] ولو كان الاسم الأعظم لعلم حبيبه مكان هذا خصوصا عند نقي الشركة عن ذاته جل جلاله.

٧. أن هذا الاسم خصوصية في الإيمان فإن الإيمان بدونه لا يصح كقولك: لا إله إلا الله ولو قلت بدل الله مهنا من أسماء الصفات لم يصح إسلامه فظهر أنه أعظم الأسماء.

٨. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أَحَبَّ الأَسمَاءِ اِلَى اللهِ عبدُ اللهِ وعَبْدُ الرَّحْمَنِ، فاختصاص هذين الاسمين بالمحبة فلا شك أنه لاختصاص تسمية الله والرحمن كاختصاص هذين الاسمين بالذكر وبالدعاء الأسماء كلها لقوله تعالى: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ، [60] وذلك يدل على أنهما أشرف وأعظم من غيرهما ثم إن اسم الله أشرف من اسم الرحمن لأنه قدمه في الذكر أولا وثانيا فلأن اسم الرحمن يدل على كمال الرحمة واسم الله يدل على الألوهية والعظمة والعزة وغيرها من الصفات فيثبت بهدا أن اسم الله أعظم الأسماء وأحبها إلى الله تعالى.

---

[58] سورة الحشر: 24.

[59] سورة محمد: 19.

[60] سورة الإسراء: 110.

٩. أن الله تعالى أمر عباده بما ألزمه ذكر هذا الاسم وجعله سبب الفلاح كقوله تعالى: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ،[61] وجعله مفتاح الجنة ومنها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: مفتاح الجنة لا إله إلا الله.

١٠. أنه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صرح فضيلة ذكر هذا الاسم على ذكر الأسماء كلها بقوله: أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ، كان اسم أعظم من الله لكان هذا الأفضل.[62]

الرحمن الرحيم هما صفتان له تعالى معناهما: ذو الرحمة ورحمة الله إرادته الخير والنعمة والإحسان، اختلف العلماء في معني الرحمة فقال بعض المحققين: الرحمة من صفات الذات وهو إرادة إيصال الخير ودفع الشر والإرادة صفة الذات لأنه تعالى لم يكن موصوفا بهذه الصفة لما خلق الموجودات، وقال آخرون: الرحمة من صفات الفعل وهو نفس إيصال الخير ودفع الشر.

والقول في خصوصية الرحمن دون سائر أسماء الصفات من وجوه:

١. أنه أخص أسماء الصفات إلى الذات لأن الأسماء على نوعين: أسماء صفات اللطف وأسماء صفات القهر، وللرحمن خصوصية بالصفتين بأن يوجد منه اللطف

[61] سورة ال عمران: 191.

[62] المرجع السابق، ص 123-128.

والقهر كما يوجد من الذات، وهذا من خصائص الذات الإلهي دون سائر الصفات فثبت أنه أخص الأسماء

٢. أن له مناسبة مع الذات دون سائر الصفات، ولهذه المناسبة صار مخصوصا بالذكر في الدعاء مع ذكر الله، لقوله تعالى: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ .[63]

٣. أن الرحمن أقرب إلى اسم الله من سائر الأسماء يدل على هذا القرآن والحديث، كقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ذكر بعد اسم الله اسمه الرحمن وقدمه على سائر أسماء الصفات أنه أقرب الأسماء. وأما الفرق بين الرحمن والرحيم وإن كانا اسمين مشتقين من الرحمة، أن الرحمن من صفة جلاله والرحيم من صفة جماله.[64]

ثم اعلم في بسم الله الرحمن الرحيم أربع مراتب: الاسم والذات وصفة الجلال وصفة الجمال، وهذه هي أنواع الموجودات كلها فإنها أربعة أقسام:

1. بسم هو الأسماء
2. الله هو الذات
3. الرحمن هو الصفات
4. الرحيم هو الأفعال.

الإتجاه الفقهي في تفسير البسملة

[63] سورة الإسراء: 110.

[64] المرجع السابق، ص 136.

قوله بسم الله عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله، ينبئ عن معنى مراده بقوله بسم الله، وأنه أراد بقيله بسم الله أقوم باسم الله وأقعد باسم الله وكذلك سائر الأفعال، فإن كان تأويل قول بسم الله، ما وصفت الباء في بسم الله، فكيف قيل بسم الله بمعنى أقرأ باسم الله أو أقوم أو أقعد باسم الله؟ أن كل قارئ كتاب الله، فبعون الله وتوفيقه قراءته، وأن كل قائم أو قاعد أو فاعل فعلا، فبالله قيامه وقعوده وفعله.

إذ كان ذلك كذلك قيل بالله الرحمن الرحيم، ولم يقل بسم الله فإن قول القائل: أقوم وأقعد بالله الرحمن الرحيم، أو أقرأ بالله، وإنما معنى قوله بسم الله: أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء أو أقرا بتسميتي الله، أو أقوم وأقعد بتسميتي الله وذكره، ومعنى الأخر من التأويل في قول القائل بسم الله معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل أو قول: أبدأ بتسمية الله قبل فعلي أو قبل قولي، وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن، إنما معناه: أقرأ مبتدئا بتسمية الله، أو ابتدئ قرأتي بتسمية الله.[65]

وقيل المعنى: أبدأ هذا الفعل بتسمية الله وذكره، إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه، أدب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى

[65] محمد ابن جرير الطبري، *جامع البيان عن تأويل القرآن*، (مؤسسة الرسالة، 1994م)، جزء 1، ص 52-53.

أمام جميع أفعاله، وأمره أن يصفه بها قبل جميع مهماته وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه.

وأما تأويل قول الله في بسملة، فإنه على معنى ما روي عن عبد الله بن عباس: هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق وقيل: دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود.

وأما قوله الرحمن فهو فعلان من رحم والرحيم فعيل منه، إن المعنى الذي في تسمية الله الرحمن، دون الذي في تسميته بالرحيم: هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه، إما في كل الأحوال وإما في بعض الأحوال فلاشك.

أن بسملة أبدأ بتسمية الله وذكره وتسبيحه قبل كل شيء مستعينة به في أموري فإنه الرب المعبود بحق واسع الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء المنعم بجلائل النعم المتفضل بدوام الفضل والرحمة والإحسان، وحكمتها ابتدأ الله تعالى بالبسملة سورة الفاتحة وكل سور القرآن ما عدا سورة التوبة، تنبيها على أن ما في كل سورة حق وإرشادا إلى استحباب البدء بالبسملة في كل الأعمال، فقال بعض العلماء: إن بسم الله الرحمن الرحيم تضمنت جميع الشرع، لأنها تدل على الذات وعلى الصفات.

واختلف العلماء في البسملة، أهي آية من الفاتحة وغيرها من السور أم لا؟ على ثلاثة أقوال:

١. المالكية والحنفية

ليست البسملة بآية من الفاتحة ولا غيرهما إلا من سورة النمل في أثنائها، لحديث أنس رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقْرَأُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، عند المالكية أن أهل المدينة كانوا لا يقرؤون البسملة في صلاتهم في مسجد المدينة، وأن الحنفية قالوا: يقرا المنفرد: بسم الله الرحمن الرحيم مع الفاتحة في كل ركعة سرة، وقال المالكية: لا يقرؤها في الصلاة المكتوبة جهرة كانت أو سرة، لأنها لا في الفاتحة ولا في غيرها من السور، ويجوز قراءتها في النافلة.

٢. الشافعية والحنابلة

البسملة آية من الفاتحة يجب قراءتها في الصلاة إلا أن الحنابلة قالوا كالحنفية: يقرأ بها سرا ولا يجهر بها، وقال الشافعية: يسر بها في الصلاة السرية ويجهر بها في الصلاة الجهرية كما يجهر في سائر الفاتحة، ودليلهم على كونها آية في الفاتحة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِذَا قَرَأْتُمِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاقْرَءُوا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّهَا أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي وَبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِحْدَاهَا وإسناده صحيح.

٣. عبد الله بن المبارك

إنها آية من كل سورة، لما رواه مسلم عن أنس قال: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَفَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ.[66]

بغض النظر عن الاختلاف في البسملة تدخل سورة الفاتحة أم لا؟ فجميع العلماء يتفقون على أن البسملة آية من القرآن، قوله: إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.[67]

البسملة في العملية هي كل عمل ينبغي أن يذكر اسم الله، فيحصل على الخير من اسم الله، أمثال:

1. العملية غير العبادة الذي لا يحصل على أجر فيسمى عبادة إذا بدأ بقراءة البسملة كالأكل والشرب والجماع وركوب البحر إلى غير ذلك من الأفعال

2. العبادة إذا بدأ بقراءة البسملة إما واجب وإما سنة كواجب بالبسمة إذا كان في قرأة القرأن وسنة بالبسمة إذا كان في وضوء.

الإتجاه الصوفي في تفسير البسملة

[66] وهبة الزهيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، (دمشق: دار الفكر،2003م)، جزء 1، ص48-50.

[67] سورة النمل: 30.

قول بسم الله ولم يقل بالله على وجه التبرك بذكر اسمه عند قوم، وللفرق القسم عند الآخرين ولأن الاسم هو المسمى عند العلماء ولإستصفاء القلوب من العلائق ولإستخلاص الأسرار عن العوائق عند أهل العرفان ليكون ورود قوله والله على قلب مصفى، وقوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون من الباء بره بأوليائه ومن السين سره مع أصفيائه ومن الميم منته على أهل ولايته، وقوم عند سماع بسم الله تذكروا بالباء براءة الله سبحانه وتعالى من كل سوء، وبالسين سلامته سبحانه عن كل عيب، وبالميم مجده سبحانه بعز وصفه، وآخرون يذكرون عند الباء بهاءه، وعند السين سناءه، وعند الميم ملكه.[68]

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الباه بره بأوليائه والسين سره مع اصفيانه، والميم منته على أهل ولائه، وأخبرنا المزيد بن محمد الطوسي عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَى ٱلْكُتَّابِ يتعَلِّمَ، فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّمُ: بِسْمِ اللهِ، فقَالَ عِيْسَى: وَمَا بِاسْمِ اللهِ؟ فقَالَ الْمُعَلِّمُ: مَا أَدْرِي فقَالَ عِيسَى: الْبَاءُ بَهَاءُ اللهِ وَالسِّيْنُ سَنَاؤُهُ وَالْمِيْمُ مَنَّتُهُ، وقال أبو القاسم بن حسين بن محمد: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول في بسم الله: إنها روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدة: الباء على ستة أوجه :

---

[68] أبي القاسم بن عبد المالك القشيري النيسابوري، *تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 2007م)، جزء 1، ص 9.

الباء: **بارئ** خلفه من العرش إلى الثرى، **بصير باسط** رزق خلقه من العرش إلى الثرى، **باعث** الخلق بعد الموت للثواب والعقاب من العرش إلى الثرى، **بار** بالمؤمنين من العرش إلى الثرى

والسين: **سميع** لأصوات خلقه من العرش إلى الثري، **سريع** الحساب مع خلقه من العرش إلى الثري، **سلام** على خلقه من العرش الى الثرى، **ستار** ذنوب عباده من العرش إلى الثرى

والميم: **ملك** الحق من العرش إلى الثرى، **مالك** خلقه من العرش إلى الثرى، **منان** على خلقه من العرش إلى الثرى، **مجيد** على خلقه من العرش إلى الثرى، **مؤمن** خلقه من العرش إلى الثرى، **مهيمن** اطلع على خلقه من العرش إلى الثرى، **مقتدر** على خلقه من العرش إلى الثرى، **مقيت** على خلقه من العرش إلى الثرى، **مكرم** أوليائه من العرش إلى الثرى، **منعم** على خلقه من العرش إلى الثرى، **مصور** خلقه من العرش إلى الثرى.

قال الشيخ المحقق رحمه الله تعالى: الباء بلاؤه لأنبيائه وأحبائه والسين سلامه لأوليانه وأصفيائه والميم معروفه مع اهل ولائه في ابتلائه ومعرفة مبتلاء بالابتلاء، وإنه لأوليائه وأصفيائه ومنته على أهل سلامته وسلامة القلب وصفائه.

قول الباء في بسملة إن مناسبة حمل الباء على البلاء في ابتداء كلامه أن الإنسان في اصل الحبلة وبدء الخلقة خلق مجبولا على الابتلاء، قال الله تعالى: اِنَّا خَلَقْنَا

الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ اَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ،[69] لأنه خلق للمحبة، كما قال تعالى: فَسَوْفَ يَأْتِى اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُّحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهَ، والمحبة مظنة الابتلاء كما أخبر النبي: إِذَا أَحَبَّ اللّٰهُ عَبْدًا اِبْتَلاَهُوَ إِذَا أَحَبَّهُ حُبًّا شَدِيْدًا اقْتِنَاءُهُ فَإِنْ صَبَرَ وَرَضِيَ اِجْتَبَاهُ.

وقول السين في بسملة إن مناسبة حمل السين على السلامة في المرتبة الثانية من افتتاح الكتاب، أحدهما: أن السلامة مرتبة الأهل البلاء، لأن البلاء على نوعين بلاء المحبة وبلاء النعمة، فبلاء المحبة على نوعين: بلاء المحبة وبلاء المحنة، وبلاء النعمة على نوعين: بلاء الرحمة وبلاء النقمة، فأما بلاء المحبة فمخصوص بالأنبياء والأولياء كما قال رسول الله: إن البلاء موكل بالأنبياء والأولياء ثم بالأمثل فالأمثل فمنهم من يختص ببلاء المحنة كما كان حال أيوب عليه السلام ومنهم من يختص بلاء النعمة كما كان حال سليمان عليه السلام.[70]

ان بلاء المنحة وإن كانت السلامة ولكن بخلوها صاحبه من المحنة إما في ابتداء أمره: كما كان حال إسماعيل ويوسف عليهما السلام ابتلاهما الله تعالى بالمحنة في حال عباتهما فخلصهما منها بعد ذلك واعطاهما النبوة، وإما في اثناء حاله: كما كان لإبراهيم عليه السلام ابتلاه الله تعالى بذبح ولده، وإما في آخر عهده: كما كان حال زكريا ويحي عليهما السلام ابتلاهما الله تعالى في آخر عمرهما، ولهذا

---

[69] سورة الإنسان: 2.

[70] عبد القادر الجيلاني، *تفسير الجيلاني*، (باكستان: مكتبة المعرفية، 2010م)، جزء 1، ص 56-57.

كان بلاء المحنة وبلاء المنحة مخصوصين بالأنبياء والأحباء، لأنهما فرع بلاء المحبة وهم مخصوصون بالمحبة وأهل المحبة.[71]

وأما قول الباء في بسملة أن مناسبة حمل الميم على معروفه مع أهل بلائه وولائه في أثناء ابتلائه، وعلى منته على أهل سلامة في الابتلاء بالائه ونعمائه فظاهر، فإنه لو لم يكن معروفه ومع أهل بلائه بنعمة الصبر لزال قدمهم عن جادة العبودية ورؤية رحمة الربوبية في عين البلاء، قال تعالى: وَاَمَّآ اِذَا مَا ابْتَلٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهٗ فَيَقُوْلُ رَبِّيْٓ اَهَانَنِ[72].[73]

وأما الرحمن فالعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم ولا يزيد في رزق التقي لأجل تقاه ولا ينقص من رزق الفاجر لأجل فجوره، فلهذا سمى نفسه رحمان، لأن رحمته وسعت كل شيء فلا يجوز أن يقال الغير الله تعالى الرحمن، لأن هذا الوصف لا يوجد في غيره، وأما الرحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصة يستر عليهم ذنوبهم في الدنيا ويرحمهم في الآخرة، ويدخلهم الجنة.

[71] المرجع السابق، ج 1، ص 58.
[72] سورة الفجر: 16.
[73] المرجع السابق، ج 1، ص 60.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى بسم الله قال: اسمه شفاء من كل داء وعون على كل دواء لأنه اسمه، وأما الرحمن فهو عون لمن آمن به وهو اسم لم يسم به غيره، وأما الرحيم فلمن تاب وآمن وعمل صالحا.

وقد فسره بعضهم على الحروف وروى عبد الرحمن المديني عن عبد الله بن عمر أن عثمان بن عفان رضي الله عنهم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير بسم الله الرحمن الرحيم فقال: أَمَّا البَاءُ: فَبَلاَءُ اللهِ وَرَوْحُهُ، وَنَصْرُتُهُ وَبَهَاؤُهُ وَأَمَّا السِيْنُ: فَسَنَاءُ اللهِ، وَأَمَّا المِيْمُ: فَمُلْكُ اللهِ وَأَمَّا اللهُ: فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَأَمَّا الرَّحْمَنُ: فَالعَاطِفُ عَلَى البِرِّ وَالفَاجِرِ مِنْ خَلْقِهِ وَأَمَّا الرَّحِيْمُ: فَالرَّفِيْقُ بِالمؤْمِنِيْنَ خَاصَّةً.

وروي عن كعب الأحبار انه قال: الباء بهاؤه والسين سناؤه ولا شيء أعلى منه، والميم: ملكه وهو على كل شيء قدير، وقد قيل: إن كل حرف هو افتتاح اسم من أسمائه، فالباء: مفتاح اسمه بصير، والسين: مفتاح اسمه سميع، والميم: مفتاح اسمه ملك، والألف: مفتاح اسمه الله، واللام: مفتاح اسمه لطيف، والهاء: مفتاح اسمه هادي، والراء: مفتاح اسمه رزاق، والحاء مفتاح اسمه حليم، والنون: مفتاح اسمه نور، ومعنى هذا كله دعاء.[74]

[74] أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، *تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 1413هـ)، جزء 1، ص 76-77.

عقيدة في الأسماء الله

تفسير سورة الفاتحة 1-3

قوله الحمد لله: ان يكون جل ثناءه حمد نسفه ليعلم الخلق استحقاقه الحمد بذاته فيحمدوه، هو الله جل وحمد نفسه لوجهين: أحدهما أنه استحق الحمد بذاته والثاني أن الله تعالى حقيق بذلك، ويحتمل أن يكون قوله: الحمد لله على إضمار الأمر، أي قولوا: الحمد لله، لأن الحمد يضاف إلى الله، فأمر بالحمد لذلك ثم يخرج ذلك على وجهين:

أحدهما: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: والحمد لله أي الشكر لله بما صنع إلى خلقه، فيخرج تأويل الآية على هذا، لأنه على هذا الترتيب على الأمر بتوجيه الشكر إليه.

والثاني: أنه يخرج مخرج الثناء على الله عز وجل والمدح له والوصف بما يستحقه من توجيه النعم إليه وقطع الشركة عنه في الإنعام والإفضال على عباده، وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الله عز وجل يقول: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي.

فجعل الحمد هذا الحرف، وصير منه ثناء، لوجهين:

أحدهما: أنه نسب الربوبية إليه في جميع العالم وقطعها عن غيره

والثاني: أنه في ذلك صلاة، والصلاة اسم للثناء والدعاء وذلك خلاف الذم.

وقوله رب العلمين: روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: سيد العالمين والعالم: كل من دب على وجه الأرض، وقد يتوجه: الرب إلى الربوبية، إذ يستقيم القول برب كل شيء من بنى آدم وغيره، نحو رب السموات والأرضين ورب العرش ونحوه وغير مستقيم القول بسيد السموات ونحوه.[75]

قد بتوجه اسم الرب إلى المالك، إذ كل من يثب إليه الملك في أنه مالكه ولا يسمى انه سيد إلا في بني آدم خاصية، واسم الرب بجمع ذلك كله لذلك كان التوجه إلى المالك أقرب، وإن أحتمل المروي عن ابن عباس رضي الله عنه إذ هو في الحقيقة سيد من ذكر وربهم.

والتأويل عند الإمام أبو المنصور الماتريدي ما أجمع عليه أهل الكلام: أن العالمين اسم لجميع الأنام والخلق جميعا، وقول أهل التفسير يرجع إلى مثله، ثم العالم اسم للجميع وكذلك الخلق، ثم تعريف ذلك بالعالمين والخلائق يتوجه إلى جمع الجمع، وقد يتوجه إلى عالم كل زمان وكذا خلق كل زمان على حكم تجدد العالم.[76]

---

[75] أبي منصور محمد بن محمود الماتريدي، *تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 2005م)، جزء 1، ص 358-359.

[76] المرجع السابق، ص 360.

قوله الرحمن الرحيم: اسمان مأخوذان من الرحمة، لكنه روي فيهما رقيقان أحدهما أرقى من الآخر، وكأن الذي روى عنه هذا أراد به لطيفان أحدهما ألطف من الآخر، دليل ذلك وجهان:

أحدهما: مجيء الأثر في ذلك اللطيف في أسماء الله تعالى مع ما نطق به الكتاب، ولم يذكر في شيء من ذلك رفيق، ومعنى اللطيف: استخراج الأمور الخفية وظهورها له

والثاني: أن اللطيف حرف يدل على البر والعطف، والرقة على رقة الشيء كما يقال: فلان رقيق القلب وإذا قيل: فلان لطيف، فإنما يراد به بار عاطف، وكذلك فسر من فسر الرحمن بالعاطف على خلقه بالرزق.

وقوله: أحدهما أرق من الآخر بمعنى اللطف يحتمل وجهين:

أحدهما: التحقيق بأن اللطف بأحد الحرفين أخص، فذلك رحمته بالمؤمنين أنه يقال: رحيم بالمؤمنين على تخصيصهم بالهداية لدينه، لا يقال: رحمن بالمؤمنين ولا يقال: رحيم بالكافرين مطلقا

الثاني: أن أحدهما ألطف الأخر كأنه وصف الغاية في اللطف.

ثم في هذا أن اسم الرحمن هو المخصوص به الله لا يسمى به وغيره والرحيم يجوز تسمية غيره به، فلذلك يوصف أن الرحمن اسم ذاتى واالرحيم فعلى قوله: قُلِ ادْعُوا اللهَ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ،[77] يدل على أنه ذاتي لا فعلي.[78]

قوله ملك يوم االدين: قال الضحاك عن ابن عباس يقول: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكما كملكهم في الدنيا، وقال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة، يفعلون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر إلا من عفا عنه وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر.

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى تفسير. مالك يوم الدين أنه القادر على إقامته، والملك في الحقيقة هو الله عز وجل قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ،[79] يدل على أنه أسماء الله الحسنى.

أنه تعالى ذكر في هذه السورة من أسماء نفسه خمسة : الله والرب والرحمن والرحيم والمالك، والسبب فيه كأنه يقول: خلقتك أولا فأنا إله ثم ربيتك بوجوه النعم فأنا رب ثم عصيت فسترت عليك فأنا رحمن ثم تبت فغفرت لك فأنا رحيم ثم لا بد

---

[77] سورة الإسراء: 110.

[78] المرجع السابق، ص 361.

[79] عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، (مصر: مكتبة الأزهرية)، جزء 1، ص213.

من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك، المذكورة تفسير أسماء الله تعالى في سورة الفاتحة 1-3: الحميد ذو الجلال وإكرم الرب مالك الملك الرحمن الرحيم المالك.

تقريرات

كذلك الآيات مأخوذة من أسماء الله الحسنى وأثبت الله تعالى لنفسه في كتابه وأثبت له رسول صلى الله عليه وسلم في سنّته من الأسماء الحسنى من غيرِ تحريف وتمثيل، ولكن فسر العلماء على آيات القرآن الكريم من أسماء الله، كما يجب الاعتقاد بأن اسم الله تعالى توقيفي:

أ. حميد : الحمد

حميد جل جلاله نطق به القرأن فقال: وَهُوَ الَّذِيْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوْا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهٗۗ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيْدُ،[80] قال ابن العربي في تفسير الحميد قيل: الحمد هو الشكر لفظان مترادفان وأن الحمد هو الخبر عن الشيء بما فيه من صفات حسنة، وقال الحليمى: الحميد هو المستحق لأن يحمد، لأنه جل ثناؤه، وقال الخطابي: هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله وهو فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يحمد ومحمود على كل حال.

أما رجوعه إلى كلامه فهو أن يكون حميد بمعنى حامد ويكون حمده لنفسه وثناءه على ذاته لاستحقاقه ذلك، إذ هو أهل الثناء والحمد الخالص ذاته وصفاته

[80] سورة الشورى: 28.

وأفعاله، وأما رجوع هذه الصفة لذاته فهو أن يكون حميد بمعنى محمود فيكون الحامد لذاته بحمده الذي هو راجع إلى كلامه، ويكون أيضا المحمود من عباده بثنائهم عليه.

قال القشيري: حميد اسم من أسمائه تعالى ذكره وهو فعيل بمعنى مفعول محمود بحمده لنفسه وحمد خلقه له ويكون فعيلا بمعنى فاعل حامد لنفسه وحامد لعباده المؤمنين، فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن الحمد على الإطلاق إنما هو لله، وأن الألف واللام للاستغراق لا للعهد فهو الذي يستحق جميع المحامد، فحمده على كل نعمة وعلى كل حال بمحامده كلها ما علم منها وما لم يعلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، وقال: أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ.[81]

ب. جلال والإكرم: لله

لله في سورة الفاتحة فمعنى جلاله استحقاقه لوصف العظمته وإكرمه، أي: ذو العظمة والكبرياء وذو الرحمة والجود والإحسان العام والخاص المكرم لأوليائه

[81] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، *الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى*، (مصر: دار الصحابة للتراث، 1417هـ)، ص 188-189.

وأصفيائه، قال تعالى: تَبٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الجَلٰلِ وَالإِكْرَامِ،[82] وجامع أعمالهم وأرزاقهم واستحال من الأموات الأولين والآخرين بكمال قدرته وسعة علمه.[83]

وإسم الله هو الاسم الأعظم لسبحانه وتعالى وهو جامع لكمال أسمائه جل وعلا لشموله لذات الوحدانية وجميع الصفات الجمالية والجلالية والذات الأحذية الأبدية المطلقة واستحالة تعدديته.

وأن ذكر الله تعالى يشمل جميع صفاته وليس التوحيد فقط وأن أي اسم من أسمائه لا يعطي الصفة الجامعة لأسم الله بل أن أسم الله مقدم على جميع أسمائه تعالى على صفاتها وأنه ذكر أسم الله في القرآن الكريم اكثر من جميع الأسماء.[84] وإن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى فقد تضمنت هذه الأسماء.

ت. رب : رب العالمين

رب جل وجلاله نطق به القرأن فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وجاء في عدد الأسماء وأجمع عليه الأمة، وقال: وَقُلْ رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَاَنْتَ خَيْرُ الرّٰحِمِيْنَ،[85] وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم كما تقدم، ويجوز على العبد كما ورد في التنزيل: وَقَالَ المِلِكُ ائتُوْنِى بِهٖۚ فَلَمَّا جَآءَهُ الرَّسُوْلُ قَالَ ارْجِعْ اِلٰى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ،[86] وأما معرفة

---

[82] سورة الرحمن: 78.

[83] سعيد بن علي القحطاني، *شرح اسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة*، ص 173.

[84] حبيب الله الشريف الكاشاني، *أسماء الله الحسنى*، (لبنان: مؤسسة البلاغ، 2011م)، ص 16.

[85] سورة المؤمنون: 118.

[86] سورة يوسف: 50.

بالألف واللام فيختص بالله تعالى وهو لفظ مشترك: فالرب: المالك، كل من ملك شيئا فهو ربه، وكذلك فسر ابن عباس رب العالمين معناه سيد العالمين، وهو اختيار آبي الحسن الأشعري ومنه قوله الحق: اِرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ أي إلى سيدك وقيل: ربك اي مالكك.[87]

فالله سبحانه رب الأرباب الأرباب ومعبود العباد يملك المالك المملوك وجميع العباد وهو خالق ذلك ورازقه وكل رب سواه غير خالق ولا رازق وكل مخلوق فمملك بعد أن لم يكن، وإنما يملك شيئا دون شيء وصفة الله تعالى مخالفة لهذا المعنى فهذا الفرق بين صفات الخالق والمخلوقين، فأما قول فرعون لعنه الله إذ قال: فَقَالَ اَنَا رَبُّكُمُ الاَعْلٰى، فإنه أراد يصف بالربوبية العالية على قومه ويكون رب الأرباب فينازع الله في ربوبيته وملكه الأعلى قوله: فَاَخَذَهُ اللّٰهُ نَكَالَ الاٰخِرَةِ وَالأُوْلٰى.

وقد قيل مشتق من التربية بالله سبحانه مدبر لخلقه ومربيهم ومصلحهم وجابرهم القائم بأمورهم قيوم الدنيا والآخرة كل شيء خلقه وكل مذكور سواه عبده وهو سبحانه ربه لا يصلح إلا بتدبيره ولا يقوم إلا بأمره ولا يربه سواه، فعلى أنه مدبر لخلقه ومربيهم ومصلحهم وجابرهم يكون صفة فعل وعلى أن الرب المالك والسيد

[87] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، *الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى*، (مصر: دار الصحابة للتراث، 1417هـ)، ص391-392.

يكون صفة ذات، فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا رب له على الحقيقة إلا الله وحده.[88]

ث. ملك الملك : رب العالمين

مالك وهو اسم فاعل من ملك الشيء يملكه فهو مالك له ويقتضي الانفراد بالتصرف في المملوك فيتصرف فيه تصرفا مطلقا، والملك بضم الميم مصدر بمعنى السلطان والقدرة، واشار الى أن معنى الاسم: المنفرد بالتصرف المطلق فيما يملكه سبحانه ومُلكه هو خلقه، فكل ما سوى الله خَلق من خلقه يملكه سبحانه ويتصرف فيه كيف يشاء بحكمته وقدرته.

ومالك الملك اسم يتبع قسم الجلال، فيشعر المؤمن بعظمته وقدرته على التصرف في ملكه وكون مالك الملك من قسم الجلال فإنَّ ذلك يقتضي من المسلم أن يتعلق به، ولا يتطلع للعظمة والكبرياء وتوهم التصرف في الأشياء.

مالك الملك فهو الموصوف بصفة الملك وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق، وله جميع العالم العلوي والسفلي كلهم فهو الرب الحق، الملك الحق، الإله الحق بربوبيته وقهرهم بملكه، واستعبدهم بالإلهيته فهذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة: رب الناس ملك الناس إله الناس، وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمنت معاني أسمائه الحسنى.[89] وإن الرب هو القادر الخالق الحي القيوم

---

[88] المرجع السابق، ص 394-395.

[89] سعيد بن علي القحطاني، *شرح اسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة*، ص 163.

العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي المانع الضار النافع، الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويسعد من يشاء ويشقي من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى.

الملك هو الكون والكون ما سوى الله، فالله واجب الوجود والكون ممكن الوجود وما سوى الله هو الملك، وخلق كثير لا يعلمهم إلا الله: حيوانات ونباتات وعوالم في البحار وحدها أكثر من مليون نوع من السمك، فالحيوان للإنسان والنبات للحيوان والتراب للنبات والماء للتراب والأرض يتناسب الإنسان مع إمكاناته، والله سبحانه وتعالى مالك الملك وأمره في الدنيا، فهذا الملك العظيم فيه إرادة واحدة هي إرادة الله.

يقول الإمام الغزالي: مالك الملك هو الذي تنفذ مشيئته في مملكته كيف يشاء وكما يشاء إيجادا وإعداما إبقاء وإفناء، والملك هنا بمعنى المملكة، والمالك بمعنى القادر التام القدرة، والموجودات كلها مملكة واحدة.[90] وفسر العلماء من الأية رب العالمين بأنها مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل هذه المخلوقات هي عالم حيث يُقال عالم ملك والملكوت وغيرهما.

ج. الرحمن الرحيم

[90] محمد راتب النابلسي، *موسوعة النابلسي لعلوم الإسلامية كتاب أسماء الحسنى*، ص 492.

هما اسمان مشتقان من الرحمة وهي في حقه تعالى بمعنى إرادة الإنعام الدنيوي والأخروي فتكون صفة ذات أو بمعنى نفس الإنعام فتكون صفة فع، وأما معناهما الحقيقي الذي هو الرقة.

وقدم الاسم الأول على الثاني لأن الأول لما كان خاصة بالمولى تبارك وتعالى فالاسم الثاني كالتتِمَّة للأول بناء على أن الأول دال على الإنعام بجلائل النعم والثاني على الإنعام بدقائقها، ويحتمل أيضا أن يكون قدم الأول على الثاني لأن متعلق الأول متقدم في الوجود بناء على أنه دال على الإنعام الدنيوي، وأن الثاني دال على الأنعام الأخروي، لأن الإنعام الدنيوي دون الإنعام الأخروي.

في الوصل بين هذين الاسمين الكريمين على هذا إشارة لطيفة إلى أن لا يأخذ من النعم الدنيوية التي هي متعلقة اسم الرحمن وإلا ما يوصل إلى النعم الأخروية التي هي متعلقة اسم الرحيم وذلك كالإيمان والأعمال الصالحات وما يعين عليها من ضروري في المعاش.[91]

الرحمن أخص من الرحيم ولذلك لا يسمى به غير الله عز وجل، والرحيم قد يطلق على غيره، وهذا الوجه قريب من اسم الله تعالى الجاري مجرى العلم، وإن كان هذا

[91] أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، *شرح اسماء الحسنى*، (بيروت لبنان: مؤسسة المعارف، 2008م)، ص 27-28.

مشتق من الرحمة قطعة، فيلزم هذا الوجه أن يفرق بين معنى الاسمين: أن يكون المفهوم من الرحمن نوعا من الرحمة هي ما يتعلق بالسعادة الأخروية.

الرحمن :اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: ذو الرحمة التي لا غايةَ بعدها في الرحمة، الذي وسعت رحمتُه كل شيء،[92] فالرحمن هو العطوف على العباد، بالإيجاد أولا وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانية وبالإسعاد في الآخرة ثالثا، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعة، وخظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله عز وجل بالوعظ والنصح بطريق اللطف وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة.[93]

الرحيم :اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الرفيق بالمؤمنين، كلمة الرحيم في اللغة العربية تكون لصيغة المبالغة، وتأتي على وزن فعيل بمعنى فاعل فيدل على الفعل، فهو الله الرحيم، فإذاً هو الله الراحم، وهكذا تطبق هذه القاعدة على باقي أسماء الله الحسنى، مثل حفيظ بمعنى حافظ، وعليم فهو عالم، وذكر تعريف كلمة الرحيم، الرحيم الكثير الرحمة، وتعرف كلمة رحيم على أنها جمع رحيمون ورحماء، وهي صيغة مبالغة من رحِمَ، كثير الرحمة والشفقة[94] والرحيم تدل على أفعاله التي بها

---

[92] معجم المعاني لكل رسم معنى

[93] أبي حامد بن محمد الغزالي، *المقصد الأسنى شرح أسماء الحسنى*، (دمشق: مطبوعة الصباح، 1999م)، ص 49.

[94] معجم المعاني لكل رسم معنى

يرحم عباده فخاص بامؤمنين ثم يجب على كل مكلف ان يعلم أن الله سبحانه هو أرحم الراحمين.

ح. مالك : ملك يوم الدين

اسم الله المالك ورد في القرآن الكريم كل شيء يُملكه هو مالكه، أما الملك مطلق هذا الاسم في مقابل الملكوت، فالملك يراد به عالم الشهادة غالباً أو الحياة الدنيا بصفة عامة، والملكوت يراد به في الأعم الأغلب عالم الغيب أو عالم الآخرة، والله عز وجل مالك الملك والملكوت، يعني مالك عالم الدنيا وعالم الآخرة، مالك عالم الشهادة وعالم الغيب، هو رب العالمين الذي يملك عالم الغيب وعالم الشهادة بما فيهما، وأن الله سبحانه وتعالى أفرد نفسه بملكيته لعالم الملك، وأفرد نفسه بملكيته لعالم الغيب أو عالم الملكوت، قال تعالى: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ.

تعريف الملك: القدرة على التصرف إذا هو من أسماء الذات، وهو من أسماء الأفعال، فيمكن أن يكون من أسماء الذات ومعناه: القدرة على التصرف، ويمكن أن يكون من أسماء الأفعال ومعناه المتصرف.

الله: ملك بل مالك الملوك ومعنى هذا أن أي شيء يملك مالكه الله سبحانه وتعالى، وقال بعض العلماء: الملك هو الذي يحكم ولا يملك، والمالك هو الذي يملك ولا يحكم، والله سبحانه وتعالى مالك وملك.[95]

[95] محمد راتب النابلسي، *موسوعة النابلسي لعلوم الإسلامية كتاب أسماء الحسنى*، ص 9-10.

ورد في التنزيل فقال: مالك يوم الدين وتكرر في السنة وأجمعت عليه الأمة، وفيه خمس لغات: مَلِكٌ ومَالِكٌ ومَلِيْكٌ ومِلْكٌ ومَلِكِيٌ، فأما ملك ومالك فقد جاء في القرآن قال الله تعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ[96] وقال: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ[97] وأما مليك فجاء أيضا في القرآن قال الله تعالى: فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ[98] فأما قوله تعالى: ومالك يوم الدين فتأويله: ذو الملك في يوم الدين، ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب، فوصف نفسه سبحانه بأنه الملك يوم لا ملك سواه، وشاهد ذلك قوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ[99] فيكون من الأوصاف الذاتية والفعلية وإذا كان من الأوصاف الذاتية فهو عبارة عن كماله في ذاته وصفاته.[100]

---

[96] سورة طه: 114.

[97] سورة ال عمران: 27.

[98] سورة القمر: 55.

[99] سورة غافر: 16.

[100] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته*، (الدمشقي: مكتبة العصرية، 2005م)، ص 362-363.

أهمية عقيدة في الأسماء الله تعالى

الكلام في أسماء الله تعالى وأوصافه إن مأخذ أسماء الله تعالى التوقيف عليها:

1. القرآن
2. السنة الصحيحة
3. إجماع الأمة عليه
4. لا يجوز إطلاق اسم عليه من طريق القياس.

إن أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام:

1. قسم منها يدل على ذاته كالواحد والغنى والأول والآخر والجليل وسائر ما استحقه من الأوصاف لنفسه
2. قسم منها يفيد صفاته الأزلية القائمة بذاته كالحي والقادر والعالم والمريد والسميع والبصير وسائر الأوصاف المشتقة من صفاته القائمة بذاته من أوصافه الأزلية
3. قسم منها مشتق من أفعاله كالخالق والرازق والعادل ونحو ذلك.

عقيدة في الصفات الله

تفسير سورة الفاتحة 1-3

قوله تعالى الحمد لله وفيه ههنا الفاظ ثلاثة يعني الحمد والمدح والشكر، فقال الإمام فخر الدين الرازي: الفرق بين الحمد والمدح من فهو أن المدح عبارة عن القول الدال على كونه مختصا بنوع من أنواع الفضائل، وأما الحمد فهو القول الدال على كونه مختص بفضيلة معينة وهي فضيلة الانعام والإحسان فثبت بما أن المدح أعم من الحمد، وأما الفرق بين الحمد والشكر فهو أن الحمد ما إذا وصل ذلك الانعام اليك أو إلى غيرك، وأما الشكر فهو مختص بالانعام الواصل اليك. أن المدح حاصل للحي ولغير الحي وللفاعل المختار ولغيره فلو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا وأما لما قال الحمد لله فهو يدل على كونه مختارا، فقوله الحمد لله يدل على كون هذا القائل مقرا بان الله العالم ليس موجبا بالذات وأيضا فقوله الحمد لله أولى من قوله الشكره لان قوله الحمد لله ثناء على الله بسبب كل إنعام ووصل إلى غيره وأما الشكر لله فهو ثناه بسبب انعام وصل إلى ذلك القائل.

أنه تعالى لم يقل أحمد الله ولكن قال الحمد لله، أنه لو قال أحمد الله أفاد ذلك كون ذلك القائل قادر على حمده وأما لما قال الحمد لله فقد أفاد ذلك أنه كان محمودة قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين، فهؤلاء سواء حمدوا أو لم يحمدوا

وسواء شكروا أو لم يشكروا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم.

أن قولنا الحمد لله معناه أن الحمد والثناء حق الله وملكه، فانه تعالى هو المستحق للحمد، فقول المصنف: الحمد لله معناه أن الحمد لله حق يستحقه لذاته ولو قال أحمد الله لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد لذاته ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مستحقة للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصا واحد حمده. أنه لو قال أحمد الله لكان قد حمد لكن لا حمداً يليق به، وأن الحمد عبارة عن صفة القلب وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم اللائق بجلال الله كان كاذبا، لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامد مع أنه ليس كذلك، وأما إذا قال الحمد لله سواء كان غافلا أو مستحضر لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقا لأن معناه أن الحمد حق لله وملكه، وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلا بمعنى التعظيم فإنه يكون صادقا لأن معناه أن الحمد حق لله وملكه، وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلا بمعنى التعظيم والاجلال أو لم يكن، فثبت أن قوله الحمد لله أولى من قوله أحمد الله. [101]

اللام في قوله الحمد لله يحتمل وجوه كثيرة أحدها: الاختصاص اللائق وثانيها: الملك كقولك الدار لزيد وثالثها: القدرة كقولك البلد للسلطان، واللام في قولك

[101] محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، *تفسير الكبير ومفاتح الغيب*، (بيروت لبنان: دار الفكر، 1401هـ)، جزء 1، ص223-224.

الحمد لله يحتمل هذه الوجوه الثلاثة فان حملته على الاختصاص اللائق فمن المعلوم أنه لا يليق الحمد إلا به لغاية جلاله وكثرة فضله واحسانه، وان حملته على الملك فمعلوم أنه تعالى مالك للكل فوجب أن يملك منهم كونهم، وان حملته على القدرة فالحق سبحانه وتعالى كذلك لأنه واجب لذاته وما سواه ممكن لذاته والواجب لذاته، فالحمد لله بمعنى أن الحمد لا يليق إلا به وبمعنى أن الحمد ملكه ومالكه.[102]

أن الانسان محتاج إلى انعام الله في ذاته وفي صفاته وفي أحواله، والله تعالي غني عن شكر الشاكرين وحمد الحامدين، فثبت أن العبد عاجز عن الإتيان بحمد الله وبشكره فلهذه الدقيقة لم يقل احمدوا الله، بل قال الحمد لله لأنه لو قال أحمدوا الله فقد كلفهم ما لا طاقة لهم به، أما لما قال الحمد لله كان المعنى أن كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الإتيان به أو لم يقدروا عليه، ونقل أن داود عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك وشكري لك لا يتم إلا بإنعامك علي وهو أن توفقني لذلك الشكر؟ فقال: يا داود لما علمت عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك.[103]

الحمد لله له تعلق بالماضي وتعلق بالمستقبل، أما تعلقه بالماضي فهو أنه يقع شكرا على النعم المتقدمة، وأما تعلقه بالمستقبل فهو أنه يوجب تجدد النعم في الزمان

---

[102] المرجع السابق ، ج 1، ص 225.

[103] المرجع السابق ، ج 1، ص 227.

المستقبل، ثم إذا اشتغل بالشكر انفتحت على العقل والقلب أبواب نعم الله تعالى وأبواب معرفته ومحبته وذلك من أعظم النعم، فلهذا المعنى كان الحمد تعلقه بالماضي يغلق عنك أبواب النيران وبسبب تعلقه بالمستقبل يفتح لك أبواب الجنان، ولما كان لا نهاية لدرجات جلال الله فكذلك لا نهاية للعبد في معارج معرفة الله ولا مفتاح لها إلا قوله الحمد لله، فلهذا السبب سميت سورة الحمد بسورة الفاتحة.[104]

المذكور تفسير عقيدة لصفة الله في قوله الحمد لله هو الفعل إما أن يكون فعل القلب أو فعل اللسان أو فعل الجوارح، أما فعل القلب فهو أن يعتقد فيه كونه موصوف بصفات الكال والإجلال، وأما فعل اللسان فهو أن يذكر ألفاظ دالة على كونه موصوف بصفات الكال، وأما فعل الجوارح فهو أن يأتي بأفعال دالة على كون ذلك المنعم موصوف بصفات الكمال والإجلال، فهذا هو المراد من الحمد.

قوله تعالى رب العالمين: اعلم أن الموجود إما أن يكون واجبة لذاته وإما أن يكون ممكنا لذاته، أما الواجب لذاته فهو الله تعالى فقط وأما الممكن لذاته فهو كل ما سوى الله تعالى هو العالم، لأن المتكلمين قالوا: العالم كل موجود سوى الله وسبب

[104] المرجع السابق ، ج 1، ص 229.

تسمية هذا القسم بالعالم أن وجود كل شي سوى الله يدل على وجود الله تعالى، فلهذا السبب سمى كل موجود سوى الله بأنه عالم.

فهذه كل ما سوى الله تعالى أقسام ثلاثة:

1. المتحيز: هو الجسم وإن لم يكن كذلك فهو الجوهر الفرد، أما الجسم فأما أن يكون من الأجسام العلوية أو من الأجسام السفلية ، أما الأجسام العلوية فهي الأفلاك والكواكب، وقد أشياء أخر سوى هذين القسمين مثل العرش والكرسي وسدرة المنتهي واللوح والقلم والجنة والنار، وأما الأجسام السفلية فهي إما بسيطة أو مركبة : أما البسيطة فهي كرة الأرض بما فيها من الجبال والبلاد، وكرة الماء وهي البحر وما فيه من سمكة الكبيرة وصعيرة التي لا يعلم عددها إلا الله تعالى، وكرة الهواء هي القمر، وكرة النار هي الشمس. وأما الأجسام المركبة فهي النبات، والحيوان.
2. الممكن الذي يكون صفة للمتحيزات فهي الأعراض، والمتكلمون ذكروا ما يقرب من أربعين جنس من اجناس الأعراض.
3. الممكن الذي لا يكون متحيز ولا صفة للمتحيز فهو الأرواح.

فهذا هو الإشارة إلى تقيم موجودات العالم، وأنه لما ثبت أن واجب الوجود لذاته واحد وثبت أن كل ما سواه ممكن لذاته فيكون محتاجة في وجوده إلى إيجاد الواجب لذاته، والله تعالى إله العالمين من حيث إنه هو الذي أخرجها من العدم

إلى الوجود وهو رب العالمين من حيث إنه هو الذي يبقيها حال دوامها واستقرارها.[105]

قوله تعالى الرحمن الرحيم: وصف الله تعالى بصفات الرحمة في اللغات على مقدار عقائد أهلها فيما يجوز على الله ويستحيل وكان أكثر الأمم مجسمة ثم يجيء ذلك في لسان الشرائع تعبيرا عن المعاني العالية مع اعتقاد تنزيه الله عن أعراض المخلوقات بالدليل العام على التنزيه وهو قول القرآن: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[106] فأهل الإيمان إذا سمعوا أو أطلقوا وصفى الرحمان الرحيم لا يفهمون منه حصول في حقيقة الرحمة وفي متعارف اللغة العربية، بل إنه يراد بهذا الوصف في جانب الله تعالى إثبات الغرض الأسمى من حقيقة الرحمة وهو من الرفق واللطف والإحسان والإعانة.

أن إطلاق هذا الوصف على الله تعالى ليس من المتشابه والمراد المعنى الوصف على الله تعالى بكثرة استعماله وتحقق تنزه الله عن لوازم المعنى المقصود في الوضع مما لا يليق بجلال الله تعالى كما نطلق العليم على الله مع اليقن بتجرد الحاجة إلى النظر والإستدلال ونطلق الحي عليه تعالي مع اليقين بتجرد حياته من العادة والتكون ونطلق القدرة مع اليقين بتجرد قدرته عن استعانة، فوصفه تعالى بالرحمان

---

[105] المرجع السابق ، ج 1، ص 233-34.

[106] سورة الشورى: 11.

الرحيم من المنقولات الشرعية فقد أثبت القرآن: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ،[107] فهي منقولة في لسان الشرع إلى إرادة الله إيصال الإحسان إلى مخلوقاته في الحياة الدنيا، وأما المتشابه فهو ما كانت دلالته على المعنى كما قال كثير من المحققين أن الرحمن صفة مشبهة.[108] أن الرحمن والرحيم يدلان على معنى واحد من الصفة المشبهة فهما متساويان وجعل أجمع بينهما في الآية من قبيل التوكيد اللفظي.

قوله مالك يوم الدين: مالك يوم البعث والجزاء، وتقريره أنه لا الفرق بين المحسن والمسي، والمطيع والعاصي، والموافق والمخالف وذلك لا يظهر إلا في يوم الجزاء كما قال تعالى: وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ۙ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَسَآءُوْا بِمَا عَمِلُوْا وَيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا بِالْحُسْنٰى.[109]

أما الأحكام المتفرعة على كونه ملكا فوجوه أن السياسات على أربعة أقسام: سياسة الملاك وسياسة الملوك وسياسة الملائكة وسياسة ملك الملوك : فسياسة الملوك أقوى من سياسة الملاك، لأنه لو اجتمع عالم من المالكين فإنهم لا يقاومون ملكة واحدة ألا ترى أن السيد لا يملك إقامة الحد على مملوكه عند أبي حنيفة وأجمعوا على أن الملك يملك إقامة الحدود على الناس، وأما سياسة الملائكة فهي فوق سياسات الملوك، لأن عالما من أكابر الملوك لا يمكنهم دفع سياسة ملك

---

[107] سورة الأعراف: 156.

[108] محمد طاهر إبن عاشور، *تفسير التحرير والتنوير*، (تونس: دار التونسية، 1984م)، جزء 1، ص170.

[109] سورة النجم: 31.

واحد، وأما سياسة ملك الملوك فإنها فوق سياسات الملائكة ألا ترى إلى قوله تعالى: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا،[110] وقوله تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ،[111] فيا أيها الملوك لا تغتروا بمالكم من المال والملك فإنكم أسراء في قبضة قدرة مالك يوم الدين ويا أيها الرعية إذا كنتم تخافون سياسة الملك أفما تخافون سياسة ملك الملوك الذي هو مالك يوم الدين.[112]

الملك عبارة عن القدرة فكونه مالك وملكة عبارة عن القدرة، ههنا بحث: وهو أنه تعالى إما أن يكون ملكا للموجودات أو للمعلومات والأول باطل، لأن إيجاد الموجودات محال فلا قدرة لله على الموجودات إلا بالإعدام، وعلى هذا التقرير فلا مالك إلا اللعدم والثاني باطل أيضا، لأنه يقتضي أن تكون قدرته وملكه على العدم ويلزم أن يقال: إنه ليس لله في الموجودات مالكية ولا ملك وهذا بعيد.

وأن الله تعالى مالك الموجودات وملكها بمعنى أنه تعالى قادر على نقلها من الوجود إلى العدم أو بمعنى أنه قادر على نقلها من صفة إلى صفة وهذه القدرة ليست إلا الله تعالى فالملك الحق هو الله سبحانه وتعالى، إذا عرفت أنه الملك الحق فنقول : إنه الملك ليوم الدين وذلك لأن القدرة على إحياء الخلق بعد موتهم

---

[110] سورة النباء: 38.

[111] سورة البقرة: 255.

[112] محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، *تفسير الكبير ومفاتح الغيب*، (بيروت لبنان: دار الفكر، 1401ه)، جزء 1، ص 242.

ليست إلا الله والعلم بتلك الأجزاء المتفرقة من أبان الناس ليس إلا الله، فإذا كان الحشر والبعث والقيامة لا يتأتى إلا بعلم متعلق بجميع المعلومات وقدرة الممكنات، ثبت أنه لا مالك اليوم الدين إلا الله.[113]

المذكورة تفسير صفات الله تعالى في سورة الفاتحة 1-3: وجود ومخالفة للحوادث وقدرة.

تقريرات

أ. وجود الله

إن وجود الله تعالى حقيقة علمية لا تخضع للتجربة والمشاهدة وإن السبيل المعرفتها والتأكد من وجودها والتحقق منها، يكون بإحدى طريقتين:

1. طريقة التدرج من الأدني

وهو الانتقال من التأكد من صحة القران الكريم كخبر نقل إلينا ثم التأكد من صدق من أتى به وهو محمد ثم التاكد من صدق أمين الوحي جبريل الذي نقله عن الله تعالى، ويتم التأكد عن طريق التلازم البين والقياس كل ذلك يدلنا على وجود الله تعالى.

2. طريقة التدرج من الأعلى

[113] المرجع السابق، ج 1، ص 245.

وهو الانتقال من البرهان على وجود الله تعالى إلى البرهان على صدق الرسل والأنبياء وصدق الوحي وما بعثوا به من تكاليف، والإيمان بهم بدلنا على الإيمان بالكتب السماوية والرسالات وبالقرآن الكريم أنه كلام الله، والإيمان بكلام الله يدلنا على الإيمان بما يتضمنه من أوامر وأحكام وأخبار وتشريعات وأخلاق وعبادات، وأن البرهان على وجود الله يكون بالأدلة والمبادئ الفطرية والحقائق التي أجمع العلماء على أنها هي ذاتها براهين.[114]

وللبرهان على وجوده:

كل حادث له سبب	مقدمة كبرى
العالم حادث	مقدمة صغرى
العالم له سبب	نتيجة

ونعني بالعالم: كل موجود سوى الله تعالى ونعني بالموجود سوى الله تعالى: الأجسام كلها وأعراضها وأن كل موجود إما أن يكون متحيزة أو غير متحيز.

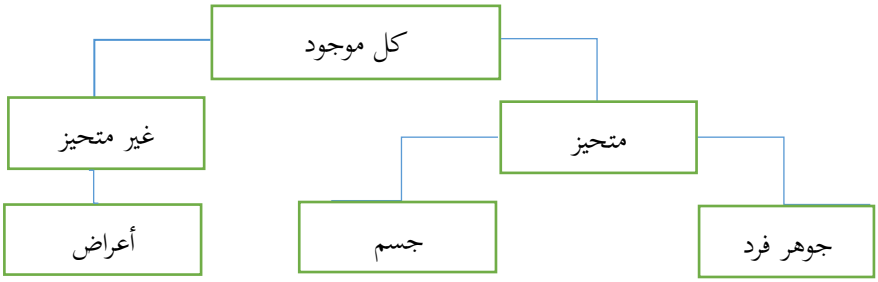

[114] أبي حامد بن محمد الغزالي، *الإقتصاد في الإعتقاد*، (بيروت لبنان: دار القتيبة، 2003م)، ص 41.

ولابد من الإشارة إلى أن :

1. الجوهر

هو ما يقوم بذاته ولا يحتاج إلى شيء آخر يقوم به مثل: (الأجسام، الأرواح، وكل ماله وجود مستقل قائم بذاته). والجوهر يقسم إلى: جوهر فرد وهو الموجود الذي لا يقبل التجزئة وهو في الحوادث الجزء الذي لا يتجزأ، والجسم وهو الموجود المركب من جوهرين فردين أو أكثر ويتبل التجزئة.

2. العرض

هو ما يقوم بغيره ويحتاج إلى شيء آخر يقوم به، وهو تابع في وجوده لوجود الجوهر ومن الأعراض: الألوان والهيئات والحركة والسكون، والعرض يحتاج إلى محل يقوم فيه أي يحل في المتحير بالذات.[115]

إن الموجود سوى الله هو العالم وما فيه من المخلوقات والكائنات تشمل من والأعرض والجواهر والأجسام وكلها يقال أنها عالم وأن عالم سبب وكل سبب مسبب وكل مسبب حادث ما كان عدما ثم صار موجودا، وأن وجود وجود كامل ذاتي أي لا لعلة مؤثرة فيه وواجب الوجود لذاته ووجوده ليس بسبب ومن خصائص الوجود أنه لا يقبل العدم، فلم يبق إلا واجب الوجود الذي الموجد لجميع المخلوقات الممكنات، إن الواجب الوجود هو الله، كما قال الأعراب عندما

[115] المرجع السابق، ص 46.

سئل عن وجود الله ودليله على ذلك: إن البعرة تدل على البعير والأقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا تدل على الواحد القهار؟

إن الأدلة العقلية على وجود الله تعالى عند ابن رشد: يقيم الأدلة العقلية لوجود الله على الآيات الكونية والنفسية بصورة واضحة، كما قسم الناس في مفهوم الشريعة كما يقسمهم مرة أخرى في مجال الاستدلال بالآيات الكونية على وجود الله فيقال: إن الأدلة على وجود الله الصانع تنحصر في هذين الجنسين: دلالة العناية ودلالة الاختراع.

1. دليل العناية

يقوم دليل العناية على أن يفكر الإنسان جيدا وينظر فيما يحيط به من عناية ربانية ونعم لا تعد ولا تحصى، وقد خلق من أجله أكثر الموجودات بل جميع ما في السموات وما الأرض، وذلك في قوله تعالى : وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ.[116]

2. دليل الاختراع

يقوم دليل الاختراع على النظر الدقيق في الموجودات والمصنوعات التي تدل لا على وجود الخالق فحسب بل على قدرته وعظمته ووحدانيته كأثر يدل على المؤثر وصفة تدل على الصانع، فنظروا في ملكوت السموات والأرض وإلى هذا

[116] سورة الجاثية: 13.

الإشارة بقوله تعالى: أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ # وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ # وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ # وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ،[117] ليستدلوا على وجود الله وقدرته وحكمته بالنظر في أسرار هذه المخلوقات.[118]

ويرى ابن رشد أن هذين الدليلين هما دليل الشرع، وأن جميع الموجودات في هذا الكون مناسبة لوجود الله كوجود العالم هو الشمس والقمر والنبات والحيوان والأمطار والبحار والهواء والنار والإنسان يدل على الخالق، بل في أعضاء الإنسان ذاتها دليل على موجد ولما كانت جميع هذه الموجودات مخترعة من العدم محدثة بعد أن لم تكن دل ذلك على أنه لا بد من وجود مبدع صانع لهذا الكون وذلك المبدع الخالق هو الله لا إله إلا هو ولا رب سواه.

وهذا يدل على أن وجود الله هي المرحلة الأولى معرفة الله لتعرف على خلق الله ثم سيجد أن الله وجود حقًا وهو القدرة في كل شيء ولو لمعرفة الله ليس من الضروري أن نرى، لأننا نستطيع أن نؤمن بشيء ما دون الحاجة إلى الرؤية، فقد ورد في القرأن الكريم اسم الجلالة يدل على اسم الذات ولأسماء الله يستحيل أن يكون لذات لا وجود لها.

---

[117] سورة الغاشية: 17-20.

[118] محمد بن علي الجامي، *العقل والنقل عند ابن رشد*، (المدينة المنورة: المملكة العربية، 1404هـ)، 22.

وأما وجود الله تعالى فقد ورد في سورة الفاتحة (لله) المناسب مع آية أخرى، قوله تعالى: الحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العٰلَمِيْنَۙ، وقوله تعالى: لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الاَرْضِ،[119] وقوله تعالى: وَلِلّٰهِ الاَسْمَآءُ الحُسْنٰى فَادْعُوْهُ بِهَا،[120] وقوله تعالى: قَالُوْٓا اِنَّا لِلّٰهِ وَاِنَّآ اِلَيْهِ رٰجِعُوْنَ.[121]

ب. مخالفة للحوادث

قال القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني: التوحيد له هو الإقرار بأنه تعالى ثابت موجود وإله واحد فرد معبود ليس كمثله شي على ما قرر به قوله تعالى : وَاِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌۚ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ،[122] وقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وأنه الأول قبل جميع المحدثات الباقي بعد المخلوقات.

وقال الباقلاني أيضا: ويجب أن تعلم أن كل ما يدل على الحدوث فالرب تعالى يتقدس عنه . فمن ذلك : أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المحدثات وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال ولا القيام والقعود، لقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وقوله: وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ،[123] ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك، فإن قيل: أليس قد قال: ٱلرَّحْمَٰنُ

---

[119] سورة البقرة: 284.

[120] سورة الأعراف: 180.

[121] سورة البقرة: 156.

[122] سورة البقرة: 163.

[123] سورة الإخلاص: 4.

عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ[124]؟ قلنا: بلى، قد قال ذلك ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة، ولكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول: إن العرش له قرار ولا مكان، لأن الله تعالى كان ولا مكان فلما خلق المكان لم يتغير عما كان.[125]

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: إن قال قائل: لم زعمتم أن البارئ سبحانه لا يشبيه المخلوقات؟ قيل له: لأنه لو أشبهها لكان حكمه الحدث حكمها ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها، فان أشبهها من جميع الجهات كان محادثة مثلها من جميع الجهات، وإن أشبهها من بعضها كان محدثا من حيث أشبهها ويستحيل أن يكون المحدث، وقد قال الله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وقوله: وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ.[126]

يقال في نفي الجهة ردا على ابن تيمية: وها نحن نذكر عقيدة أهل السنة فنقول: عقيدتنا أن الله قديم أزيلي لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ليس له جهة ولا مكان ولا يجري عليه وقت ولا زمان ولا يقال له: أين ولا حيث، كان ولا مكان وكون

---

[124] سورة طه: 5.

[125] مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي العطاس، *عقيدة الإمام الأشعري مذهب السواد الأعظم من المسلمين في الأصول*، (يمن تريم: دار الأصول حضرموت، 2004م)، ص 79-80.

[126] أبي الحسن الأشعري، *اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع*، (مطبعة مصرية، 1955م)، ص20.

المكان ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان، هذا مذهب أهل السنة وعقيدة مشائخ الطريق رضي الله عنهم.

وسئل ذو النون المصري عن قوله تعالى : ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ، فقال: أثبت ذاته ونفي مكانه فهو موجود بذاته والأشياء بحكمته كما شاء.

وسئل الشبلي فقال: الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى.

وسئل عنها جعفر بن نصير فقال: استوى علمه بكل شي وليس شيئ أقرب إليه من شيئ.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه : من زعم أن الله في شي أو من شي أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورا ولو كان على شيء لكان محمولا ولو كان من شيء لكان محدثا.[127]

سئل الإمام أحمد بن حنبل على الاستواء, فقال: استوى كما أخبر لا كما يخطر في عقل البشر.

قال أبو حنيفة: من لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض هو فقد كفر، لأن هذا القول يوهم أن الله مكانا ومن توهم أن الله مكانا فهو مشبه.

سئل الإمام الشافعي عن الاستوى, فقال: أمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك.

---

[127] مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي العطاس، *عقيدة الإمام الأشعري مذهب السواد الأعظم من المسلمين في الأصول*، (يمن تريم: دار الأصول حضرموت، 2004م)، ص 87.

سئل الإمام المالك عن الاستوى, فقال: الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.[128]

وأما المخالفة للحوادث: فمعناها أنه تعالى ليس مماثلا لشيء من الحوادث في الحدوث ولوازمه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فليس جسما وليس قائما بجسم وليس فوق شيء ولا تحته ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا يوصف بحركة ولا سكون فليس له يد ولا عين ولا أذن ولا غير ذلك مما هو من سمات الحدوث، وما ورد من ذلك ونحوه في الكتاب أو السنة فمصروف عن ظاهره، وليس علمه تعالى مكتسبا عن دليل عن ضرورة، ولا يطرأ عليه سهو أو غفلة أو جهل كعلمنا، وليست قدرته محتاجة إلى آلة أو معاونة، وليست إرادته لغرض من الأغراض، وليست حياته بروح كحياتنا، وليس سمعه وبصره مقابلة للمبصرات، وليس كلامه بصوت ولا حرف عارض للصوت.

وأما المخالفة للحوادث أنواع:

1. الله ليس بجوهر

إن الله تعالى الذي صنع العالم ليس بجوهر متحيز لأنه قد ثبت قدمه، ولو كان متحيزة لكان لا يخلو عن الحركة أو السكون، فلا يجوز إطلاق اسم في حق الله تعالى إلا بإذن ويحرم إطلاق لفظ الجوهر على الله، فإن لم يرد فيه نهي فنظر الإمام

[128] عز الدين بن عبد السلام، *حل الرموز ومفاتيح الكنوز*، (بيروت لبنان: دار الكتب العمية، 2011م)، ص 136.

الغزالي: إن كان هذا اللفظ يوهم الخطأ في صفات الله فهو حرام وإن كان اللفظ لا يوهم خطأ في صفات الله فيحكم بتحريمه أيضا، لأنه لم يرد فيه إذن لأن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية.

2. الله ليس بجسم

إن الله يتصف بأنه لا يشبه مخلوقاته فهو مخالف للحوادث، فالله ليس بجسم لأن كل جسم مؤلف من جوهرين متميزين أو أكثر وبما أن الله تعالى ليس بجوهر فيستحيل أن يكون جسما، لأنه لو كان جسما لكان مقدرة بمقدار مخصوص ويتصرف فيه ويقدره بمقدار مخصوص وبالتالي يكون مصنوعا لا صانعا ومخلوق لا خالقا، وهذا مستحيل في حق الله تعالى.

3. الله ليس بعرض

إن الله تعالى ليس بعرض لعدة أسباب: الأول لأن العرض يستدعي وجوده ذات تقوم به وهذه الذات إما جسم أو جوهر، والثاني لأن العرض لا يقوم بذاته بل يحتاج إلى جسم يقوم به، والثالث لأن العرض صفة، والله تعالى يتصف بصفات تطلق على الذات الموصوفة لا على الصفات، فمثلا: الله صانع العالم فالصنع مضاف إلى الذات التي تقوم بها الصفات لا إلى الصفات.

4. الله ليس في جهة من الجهات

إن الجهات مستحيلة على غير الجواهر والأعراض وبما أن الله تعالى عليه بجوهر ولا عرض، فيستحيل عليه أن يكون في جهة.

إن الحيز هو المكان الذي يختص به الجوهر إلا أن الحيز يصبع جهة إذا أضيف إلى شيء آخر متميز، فالجهات المعروفة: فرق وأسفل ويمين وشمال وأمام وخلف تعني كون الشيء في حيز يلي إحدى هذه الجهات.

أن هذا الشيء يختص بهذا الحيز بحيث يمنع مثله أن يوجد بحيث يكون هو وهذا هو الجوهره، إن كان الله في جهة كما هو للجوهر والعرض فهذا كذب على الله ومستحيل ولا يجوز أن يكون الله في جهة لأن الجهة التي تختص بالله لا تختص به لذاته فاختصاصه ببعض الجهات ليس بواجب لذاته، والجهات كلها متساوية بالإضافة إلى المقابل للجهة.

فإذا قيل إن الله اختص بجهة فوق لأنها أشرف الجهات، إنما صارت الجهة جهة فرق لأنه خلق العالم في هذا الحيز الذي خلقه، وعندما خلق الله العالم لم يكن هناك فوق ولا تحت أصلا لأن جهة فوق وتحت مشتقات من الرأس والرجل وعندما خلق الله العالم لم يكن هناك، حتى تسمى الجهة التي تلي الرأس فوقا والمقابل لها تحت، فإن قيل: إذا لم يكن الله مخصوصا بجهة فوق، فلماذا ترفع الوجوه والأيدي إلى السماء أثناء الدعاء شرعا وطبعا؟

يكون الجواب: إن رفع الأيدي والوجوه إلى السماء أثناء الدعاء عظيم بالإشارة إلى جهة العلو التي هي أعلى الجهات وأرفعها في الاعتقادات فالقلب يتوجه إلى الله تعظيمة والجوارح في ذلك خدم وأتباع وهذا هو السر في رفع الوجوه إلى السماء عند قصد التعظيم، وبما أن أرزاق الله تنزل من السماء، فلذلك تتوجه

الأيدي والوجوه إلى السماء بالدعاء لطلب الرزق، قال تعالى: *وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ*.[129]

5. *الله* ليس في مكان

إن الله تعالى منزه أن يوصف بالاستقرار على العرش لأن كل متمكن على جسم ومستقر عليه هو مقدر لا محالة فهو إما أن يكون أكبر أو أصغر أو مساوية، فكيف تفسر إذا الآية: ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ أي واستولى بقدرته، فالتأويل هذه الآية التي توهم التشابه: رأي المعتزلة مذهب التأويل ومذهب الخلف فقد استخدم المعتزلة التاويل لهذه الآية التي توهم التشابه، تأويلا يليق بكمال الله تعالى، ورأي أهل السنة مذهب التفويض ومذهب السلف فقد اقتصر أهل السنة على تفسير هذه الآية تفسيرة إجمالية دون تفصيل ودون تأويل بل اكتفوا بظواهر النصوص، وذلك أسلم للعقيدة والإيمان.

فقال الإمام الغزالي: الناس في هذا الأمر بالنسبة إلى الآيات التي توهم التشابه، فريقان: الأول العوام: وهم يفهمون ظواهر هذه الآيات فقط، والثاني العلماء: فإنهم يفهمون أن في هذه الآية استعارة ومجازة، وذلك للتقريب إلى الأذهان ويمكن تأويلها وتفسيرها بما يليق بكمال الله مع سلامة العقيدة.[130]

اعلم أن جميع ما ورد في الكتاب والسنة وغيرها من المتشابهات يعني التي يوهم بعض الفاظها مشابهته تعالى للحوادث من ذكر الأعضاء كالوجه واليد والقدم

---

[129] سورة الذاريات: 22.

[130] أبي حامد بن محمد الغزالي، *الإقتصاد في الإعتقاد*، (بيروت لبنان: دار القتيبة، 2003م)، ص 52-59.

والأفعال كالنزول إلى سماء الدنيا والأوصاف كالضحك والغضب وغير ذلك قد اتفقت الأمة المحمدية من السلف والخلف على أن معانيها الظاهرة التي نتعقلها ونفهمها من هذه الألفاظ بالقياس إلى ما نفهمه من أنفسنا هي مستحيلة على الله تعالى ولا يجور اعتقاد اتصافه بشيء منها على الوجه المذكور، ثم اختلفوا فذهب السلف إلى عدم تأويلها بمعان أخرى تليق به تعالى وذهب بعض الخلف من علماء الكلام إلى وجوب تأويلها وتفسيرها بمعان تليق بالله تعالى، وهذا هو المذهب الراجح عند جمهور الأمة من المتقدمين والمتأخرين.[131]

وأما مخالفة للحوادث فقد ورد في سورة الفاتحة (الرحمن) لا يشبيه المخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله لأنه كان الرحمن مختصا به تعالى، وكذلك المناسب مع آية أخرى، قوله تعالى: الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ، وقوله تعالى: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوٰى، وقوله تعالى: وَاِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ ۚ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ،[132] وقوله تعالى: وَسْـَٔلْ مَنْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَآ اَجَعَلْنَا مِنْ دُوْنِ الرَّحْمٰنِ اٰلِهَةً يُّعْبَدُوْنَ،[133] وقوله تعالى: وَاِذَا قِيْلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ اَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوْرًا.[134]

ت. قدرة الله

---

[131] يوسف إسماعيل النبهاني، *جامع الثناء على الله*، (مكتبة التوفقية)، ص 35.

[132] سورة البقرة: 163.

[133] سورة الزخرف: 45.

[134] سورة الفرقان: 60.

قدرة هي كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكما ككونه قادرا فإنه لازم للقدرة، وفي الحقيقة المعاني والمعنوية متلازمان، وقدرة أي وواجب له قدرة فهو معطوف على الوجود وهي اللغة: القوة والاستطاعة كما، وعرفا: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة، وهكذا سائر التعاريف المذكورة للصفات لأنه لا يعلم ذاته وصفاته أي حقيقة ذلك إلا هو، ويتأتي بها إيجاد كل ممكن وإعدامه إشارة إلى تعلقها الصلوحي القديم، ويقال له الصلاحي القديم، وهو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال.[135]

هذه الصفة تتعلق بالأشياء تعلقا صلوحيا من حيث إيجاد كل ممكن أو إعدامه وتتعلق بالأشياء أيضا تعلقا تعجيزيا من حيث تنفيذ الإيجاد والإعدام ويستحيل على الله ضد هذه الصفة وهي العجز، إن صفة القدرة واحدة، ولكن إذا نظرنا إلى تعلقها الصلوحي: فهو تعلق أزلي قديم، وإذا نظرنا إلى تعلقها التعجيزي: فهو تعلق حادث، أي أن كلا التعلقين عائدان إلى قدرة واحدة وإنما الحادث هو التعلق التعجيزي بالأشياء، أما صفة القدرة ذاتها فهي قديمة على كل حال.

الدليل العقلي على صفة القدرة، يقول الإمام الغزالي: إن محدث هذا العالم قادر، وهذا العالم المحكم المرتب المتقن وفق نظام دقيق، الذي يشمل كل أنواع العجائب والآيات، المحير العقول والألباب بدل ويشير على أنه لم يصدر عن ذات عاجزة،

[135] إبراهيم بن أحمد البيجوري، *تحفة المريد*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 2004م)، ص74.

لأنها لو كانت عاجزة لعجزت عن خلق أبسطالأشياء، إذن هذا العالم المنظم الدقيق يشير إلى خالق قادر.[136]

[136] أبي حامد بن محمد الغزالي، *الإقتصاد في الإعتقاد*، (بيروت لبنان: دار القتيبة، 2003م)، ص 72.

أهمية عقيدة في الصفات الله تعالى

أن الأشياء وجودا في الأعيان ووجودا في الأذهان ووجودا في اللسان:

1. أما الوجود في الأعيان، وهذا الوجود موصوف بالقدم فيما يتعلق بذات الله عز وجل وصفاته، فهو الوجود الأصلي الحقيقي
2. أما الوجود في الأذهان، هو الوجود العلمي الصوري
3. أما الوجود في اللسان وهي الأسماء، هو الوجود اللفظي الدليلي.

ذهب الإمام أبي الحسن الأشعري في مسألة التوحيد خاصة وفي أصول العقيدة الإسلامية بوجه عام ويشمل التنزيه في عقيدة الأشاعرة:

1. تنزيه الخالق جل شأنه عن مشابهة الخلق بشكل مطلق، فالله سبحانه وتعالى بخلاف كل ما تصور في الأذهان وكل ظاهر يوهم التشبيه، يجب عند الأشاعرة صرف ينفي التشبيه
2. تنزيه الخالق جلت قدرته عن أن يكون جسما أو حالا في جسم
3. تنزيه الخالق تبارك وتعالى عن أن يكون محدودة بحد أو محصورة في جهة أو حالا في مكان
4. تنزيه الخالق عز وجل عن أن يكون حادثا أو محلا للحوادث أي: الأمور الحادثة بعد عدم الحركة والسكون.

ويجب أن نعلم:

1. أن الله عالم بعلم قديم متعلق بجميعا المعلومات ولا يوصف علمه بأنه مكتسب ولا ضروري
2. وأنه قادر بقدرة قديمة شاملة لجميع المقدورات
3. وأنه مريد بإرادة قديمة متعلقة بجميع الكائنات
4. وأنه سميع بسمع قديم متعلق المسموعات
5. وأنه بصير ببصر قديم متعلق بجميع المبصرات
6. وأنه متكلم بكلامه قديم متعلق المأمورات والمنهيات والمخبرات.

فعلمه سبحانه لا يوصف بالضرورة والكسب لأن ذلك صفات علم الخلق، وقدرته لا توصف بالاستطاعة لأن ذلك صفات خلق، وسمعه لا يوصف بأنه يقوم بالحواس كسمع الخلق، وبصره لا يوصف بأنه يقوم بالألة كبصر الخلق، وكلامه لا يوصف بالجوارح لأن ذلك صفات كلام الخلق، بل صفات ذاته قديمة أزلية لم يزل موصوفا بها ولا يزال كذلك لا تشبه بصفات المخلوقين ولا صفاته متغايرة في نفسها.

اعلم أن الصفة تنقسم إلى سبعة أقسام :

1. صفة نفسية: وهي التي لا يعقل الموصوف بدونها كالوجود
٢. وصفة سلبية: وهي سلب أمر لا يليق بالموصوف كالمخالفة للحوادث
٣. وصفة معنى: وهي صفة وجودية توجب لموصوفها حكما كالقدرة
4. وصفة معنوية: وهي صفة ثبوتية اعتبارية لازمة للمعني ككونه قادرا
5. وصفة فعلية: وهي تعلق القدرة والإرادة كالخلق والرزق

6. وصفة جامعة: لسائر الصفات كالجلال والعظمة والكبرياء

٧. وصفة سمعية: وهي عبارة عن معنى ورد به السمع، أعني الكتاب والسنة المتواترة كاليد والعين.

أخلاق في العبادة

تفسير سورة الفاتحة ٤

وقوله وإياك نعبد وإياك نستعين: يشتمل على ركنين عظيمين أحدهما: العبادة مع الإخلاص بالاضافة إليه خاصة، وذلك هو روح الصراط المستقيم كما تعرفة من كتاب الصدق والإخلاص وذم الجاه والرياء من كتاب الإحياء الدين علوم، والثاني: اعتقاد أنه لا يستحق العبادة سواه، وهو باب عقيدة التوحيد ومعرفة أن الله منفرد بالأفعال كلها، فقوله: وإياك نعبد إشارة إلى تحلية النفس بالعبادة والإخلاص، وقوله: وإياك نستعين إشارة إلى تزكيتها عن الرياء والشرك والالتفات إلى الحول والقوة.[137]

تقريرات

أ. الإخلاص

إن النية هي ميزان قبول الأعمال وإن المعيار في العبادة هو كونها خالصة لله، ومن مهمات آداب النية وهو في نفس الوقت من مهمات جميع العبادات ومن المقررات الكلية الشاملة الإخلاص، وحقيقته تصفية العمل عن سوى الله وتصفية

[137] أبي حامد بن محمد الغزالي، *جواهر القرآن*، (بيروت لبنان: دار إحياء العلوم)، ص 69.

السر عن رؤية غير الحق تعالى في جميع الأعمال الظاهرية والباطنية وكمال الإخلاص ترك الغير مطلقة.

الإخلاص في العمل هو تنزيه العمل أن يكون لغير الله فيه نصيب والإخلاص لله هو غاية الدين وهو أفضل العبادات بل هو روح العبودية لله وجوهرها، فحقيقة الإخلاص تخليص نية الإنسان وعمله من غير الله تعالى، كما قال سيد محمد الباقر: لا يكون العبد عابدة لله حق عبادته حتى ينقطع عن الخلق كله إليه، فحينئذ يقول هذا خالص.

فالمخلص هو الذي لا يطلب من وراء أي عمل يقوم به سوى الله تعالى ولا يكون له مقصد سوى رضاه والتقرب إليه بحيث تكون نيته متوجهة دائما إلى الله، فلا تطلب إلا رضاه لأن العمل الخالص هو الذي لا تريد أن يمدحك عليه أحد سوى الله تعالى، ان الله تعالى لا يقبل إلا العمل الخالص.[138]

أن من عمل لغير وجه الله فلا ثواب له في الآخرة ومأواه جهنم ومن عمل لوجه الله تعالى فعمله مقبول وإذا عمل لغير وجه الله تعالى فلا نصيب له من عمله إلا العناء والتعب، كما جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ حَظٌّ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ حَظٌّ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالنَّصَبُ، يعني إذا لم يكن الصوم والصلاة لوجه الله تعالى فلا ثواب له.

[138] مركز المعارف للتألف، *روح العبادة*، (دار المعارف الإسلامية الثقافية، 2007م)، ص 62.

وهذا كما روي عن بعض الحكماء أنه قال: مثل من بعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل! فلا منفعة له سوى مقالة الناس، ولو أراد أن يشتري به شيئا لا يعطى به شيئا، كذلك الذي عمل للرياء والسمعة لا منفعة له من عمله شيئا سوى مقالة الناس، ولا ثواب له في الآخرة، كما قال الله تعالى : وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا، يعني الأعمال التي تعملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور.

وقال حكيم من الحكماء من عمل سبعة دون مبيعة ، لم ينتفع بما يعمل:

1. أن يعمل بالخوف دون الحذر، يعني يقول: إني أخاف عذاب الله ولا يحذر من الذنوب فلا ينفعه ذلك القول شيئا
2. أن يعمل الرجاء دون الطلب، يعني يقول: إني أرجو ثواب الله تعالى ولا يطلبه بالأعمال الصالحة، فلم تنفعه مقالته شيئا
3. أن يعمل بالنية دون القصد، يعني ينوي بقلبه أن يعمل الطاعات والخيرات ولا يقصد بنفسه، لم تنفعه نيته شيئا
4. أن يعمل بالدعاء دون الجهد، يعني يدعو الله تعالى أن يوفقه للخير ولا يجتهد، لم ينفعه دعاؤه شيئا
5. أن يعمل بالاستغفار دون الندم، يعني يقول: أستغفر الله ولا يندم على ما كان منه من الذنوب، لم ينفعه الاستغفار يعني بغير الندامة

6. أن يعمل بالعلانية دون السريرة، يعني يصلح أموره في العلانية ولا يصلحها في السر، لم نتفعه علانيته شيئا
7. أن يعمل بالكد دون الإخلاص، يعني يجتهد في الطاعات ولا تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، لم تنفعه أعماله بغير إخلاص.

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ يَخْتَلِبُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ فَيَلْبَسُونَ لِبَاسَ جُلُودِ الضَّأْنِ فِي اللِّينِ أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَكِيمُ العَاقِلَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا، وروى عن أبي هريرة قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، إِنِّي أَعْمَلُ العَمَلَ فَأَسِرُّهُ فَيُطْلَعُ عَلَيْهِ فَيُعْجِبُنِي ذَلِكَ، أَلِيَ فِيْهِ أَجْرٌ؟ قَالَ: لَكَ فِيْهِ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ وأَجْرُ العَلَانِيَةِ، معناه أنه يطلع على عمله ويُقتدى به فله أجران: أجر لعمله وأجر للاقتداء به[139] لأنه يعمل بالسر والإخلاص.

قد اختلف *الصوفيون* في تعريف الإخلاص *اختلافاً* واسعاً:

1. قال الإمام الجنيد رحمه الله: الإخلاص تصفية العمل من الكدورات
2. قال شيخ سهل بن عبد الله رحمه الله: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة

[139] نصر الدين بن محمد بن إبراهيم السمرقند، *تنبيه الغافلين*، (قديري الإندونيسي: مكتبة معهد الإسلامية السلف)، ص 3-4.

3. قال سيد أبو بكر بن سيد محمد الساطى الدمياطي: الإخلاص أن يكون قصد الإنسان في جميع طاعته واعماله مجرد التقرب إلى الله تعالى

أيها السالك اجتهدوا لتحصيل الإخلاص على المراتب والدرجة العلا.

1. عبادة للتقرب الى الله وطلب مرضاته
2. عبادة لا يخلط إلى غرض الدنيا كثناء الخلق أو نحو ذلك كمحبتهم

وأن يكون له وقع عندهم فقال الإمام الغزالي رحمه الله: وذلك مثل أن يصوم لينتفع بالحمية قصد التقرب إلى الله تعالى ومثل أن يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه ومثل أن يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عنه ليراقب رحله وأهله أو يتعلم العلم ليكون عزيزا بين العشيرة. انتهى.

قال السيد عبد الله الحداد في النصائح الدينية: الذي يعمل لقصد التقرب إلى الله تعالى وطلب مرضاته وثوابه هو المخلص والذي يعمل لله ولمرأأت الناس هو المرائي وعمله غير مقبول والذي يعمل لمرأت الناس فقد ولو لا الناس لم يعمل أصلا أمره خطر هائل ورياءه رياء المنافقين نعوذ بالله من ذالك ونسئله العافية من جميع البليات.

3. إجتنب رياء محيطا لعبادتك

قال شيخ علي بن احمد الجيزي في تحفة الخواص: الرياء هو فعل العبادة بقصد اطلاع الناس لتحصيل مال أو جاه أو مدح وهو من الكبائر وكل عمل خالطه الرياء فهو باطل مردود وأما غيره كحج مع تجارة وطهارة مع تبرد فقيه الثواب

بقدر باعث الأخيرة ولو مغلوبا والرياء يدخل كل الأعمال حتى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على الأصح كما أفتى به الشيخ الإسلام والرملي.

قال الله تعالى: فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا،[140] وقوله تعالى: فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ # ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ # ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ # وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ.[141]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وقوله الصلاة والسلام: مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ ٱلْآخِرَةِ طَمَسَ اللهُ وَجْهَهُ وَمَحَقَ ذِكْرَهُ وَأَثْبَتَ اسْمَهُ فِي النَّارِ، وقوله الصلاة والسلام: مَنْ أَحْسَنَ الصَّلَاةَ حيثُ يَرَاهُ الناسُ وَأَسَاءَ حَيْثُ يَخْلُو فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ اسْتَهَانَ بِهَا رَبَّهُ تَعَالَى.

4. لا تظهر للناس طاعتك لأجل أن يعتقدوا أنك فاضل وأما إظهارها لأجل أن يقتدي بك الجهال ويرغبوا في الخير فهو أفضل من أسرارها

قال الحبيب عبد الله الحداد في النصائح الدينية: ومهما خاف على نفسه الرياء فليخف أعماله ويفعلها في السر حيث لا يطلع عليه الناس فذالك أحوط وأسلم وهو أفضل مطلقا أعني العمل في السر حتى لمن لم يخف على نفسه الرياء إلا للمخلص الكامل الذي يرجوا إذا أظهر العمل أن يقتدي به الناس فيه نعم ومن الأعمال ما لا يتمكن الإنسان من فعله إلا ظاهرا كتعلم العلم والتعليمه وكالصلاة

---

[140] سورة الكهف: 110.

[141] سورة الماعون: 4-7.

في الجماعة والحج والجهاد ونحو ذالك فمن خاف من الرياء حال فعله شيئا من هذه الأعمال الظاهرة فليس ينبغي له أن يتركه بل عليه أن يفعله ويجتهد في دفع الرياء عن نفسه ويستعين بالله تعالى فإنه نعم المولى ونعم المعين.

5. أن إيمان المرء لا يكون كاملا حتى يعتقد أن مشاهدة الناس والحيوان لعمله على حد سواء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَا يَكْمَلُ إِيْمَانُ المرْءِ حَتَّى يَكُوْنُ النَّاسُ عِنْدَهُ كَالأَبَاعِرِ، قال الإمام الغزالي: علامة الإخلاص أن يكون الخاطر يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ولا يكون حضور الغير هوالسبب في خضور الخاطر كما لا يكون خضور البهيمة سببا في ذالك فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك أخفى في القلب ابن أدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، قال شيخ أبو مدين الحديدي في الحكم: علامة الإخلاص أن يفتى عنك الخلق في مشاهدة الحق، قال شيخ أحمد بن علان في شرحه: إذ حقيقة الإخلاص: الخلوص من شهود الأكوان والدخول في مقام الإحسان، قال الإمام الغزالي أيضا: الأصل في الإخلاص إستواء السريرة والعلانية، كما قال سيدنا عمر بن خطاب لرجل: عليك بعمل العلانية قال: يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية؟ قال: ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه، وقال أبو مسلم الخولاني: ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إثياني أهلي والبول والغائط وهذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد.

6. أن العمل لأجل الناس شرك خفي وتركه لأجل الناس هو الرياء لأن فيه التفانا إلى الخلق ويجره إلى البطالة وترك الخيرات

قال شيخ فضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما، قال الإمام الغزالي: وأما ترك الطاعة خوف الرياء فلا وجه له بل ينبغي أن يعمل ويخلص إلا إذا كان العمل فيما يتعلق بالخلق كالقضاء والأمانة والوعظ فإذا علم من نفسه أنه بعد الخوض فيه لا يملك نفسه بل يميل إلى دواعي الهوى فيجب عليه الإعراض والهرب كذلك فعل جماعة من السلف.

7. لا تطلب عند ناس منزلة

قال الله تعالى: تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا،[142] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حُبّ الْمَالِ وَالْجَاهِ يُنْبِتَانِ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ أُرْسِلَا فِيْ زَرِيْبَةِ غَنَمٍ بِأَكْثَرَ إِفْسَادًا مِنْ حُبِّ المالِ والجَاهِ فِي دِيْنِ الرَّجُلِ، وقال شيخ أبو بكر الوراق: لا تطلب المنزلة عند الله وأنت تطلب المنزلة عند الناس وذالك لأن الجمع بين هذين المعنيين محال.[143]

---

[142] سورة القصص: 183.

[143] شيخ الحاج محمد جمال الدين بن أحمد، *أنطولوجي تصوف*، (جوبانج الإندونيسي: مكتبة المحبين، 2019م)، ص 206-215.

إن الإخلاص للهِ تعالى هو أساس كل عمل وغاية كل مريد فعمل بلا إخلاص لا أجر له وصلاة بلا إخلاص لا ثواب لها وصدقة بلا إخلاص لا قيمة لها، لأن معرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح وأعمال القلوب هي الأصل وأعمال الجوارح تبع، وإن النية بمنزلة الروح والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء. فبهذا الأية (إياك نعبد) بيّن الإخلاص في العبادة: أنه إفراد الله تعالى بالقصد في الطاعة وتزكية.

ب. الرياء

حثّ الإسلام على التخلّق بالأخلاق الحسنة والكريمة، ومنها: الإخلاص وعكسه الرياء، والرياء اسم مشتق من مصدر الرؤية والرّياء هو القيام بالأعمال والإتيان بها في سبيل الحصول على إعجاب النّاس، والرؤيا تختلف عن السّمعة التي هي الإتيان بالأعمال ليسمع الناس بها، وقد يُطلق عليها الرياء،[144] ويُعرف الرياء بأنه مخالفة الأعمال الظاهرة لما هو مخفي من النوايا الباطنة، بقصد الحصول على ثناء النّاس وحمدهم وإعجابهم، والأصل أن تكون نية الأعمال نيل رضى الله تعالى.

الأثر وأقوال العلماء:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم به

[144] تعريف ومعنى رياء في معجم المعاني الجامع.

قال الحسن: الممرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو صالح، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء؟ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما

قال محمد بن المبارك الصوري: أظهِر السمت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار، لأن السمت بالنهار للمخلوقين والسمت بالليل لرب العالمين.[145]

بيان درجات الرياء وأركانه ثلاثة: نفس قصد الرياء والمرائ به والمرائي لأجله.

1. الركن الأول

نفس قصد الرياء، إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب، فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية الإرادة العبادة ، فتكون الدرجات أربعا:

الأولى أغلظها: أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي، بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس، فهذا جرد قصده إلى الرياء وكذلك من تخرج الصدقة خوفا مذمة الناس وهو ولا يقصد الثواب

[145] شيخ الحاج محمد جمال الدين بن أحمد، *أنطولوجي تصوف*، (جوبانج الإندونيسي: مكتبة المحبين، 2019م)، ص 230-231.

الثانية: أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا، بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل، ولو لم ليكن قصد الثواب لكان الرياء بحمله على العمل

الثالثة: أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين، بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل

الرابعة: أن يكون اطلاع الناس مقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا بترك العبادة، أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب.

2. الركن الثاني

المرائ به، وهو الطاعات ذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها:

القسم الأول وهو الأغلظ: الرياء بالأصول، وهو على ثلاث درجات:

الأولى: الرياء بأصل الإيمان، وهذا أغلق أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار، وهو الذي يُظهر كلمتَي على الشهادة وباطنه كذيب، وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابة في مواضع كقوله عز وجل: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ،[146] وكان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لغرض، فهؤلاء من

[146] سورة المنافقون: 1.

المنافقين والمرائين المخلدين في النار، وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين، فإنهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر

الثانية: الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين، وهذا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير ومثاله: أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بإخراج الزكاة خوفا من ذمه، ويدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعاده ترك الصلاة في الخلوة، وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها، فهذا مرائ معه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا معبود سواه، ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس، فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله، وهذا غاية الجهل

الثالثة: أن لا يراني بالايمان ولا الفرئض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي، ولكنه يكسل عنها في الخلوة كالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس، فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة أو طلبا للمحمدة.

القسم الثاني: الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها، وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة ، مثل أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة، فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وتمم القعود بين السجدتين، وهذا حال المرائي بتحسين في الصلاة في الملاء دول الخلوة، فهذا أيضا من الرياء المحظور ولكنه دون الرياء بأصول الطاعات

الدرجة الثانية: أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود وعيد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السور المعتادة

الدرجة الثالثة: أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول.

3. الركن الثالث

المراعي لأجله، فإن للمراني مقصودا لا محالة، وإنما يرائي لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض وله ثلاث درجات:

الأولى وهي أشدها وأعظمها: أن يكون مقصوده التمكن من المعاصي كالذي يرائي بعبادته وتظهر التقوى والورع بكثرة النواقل والإمتناع عن أكل الشبهات وغير ذلك، وقد يظهر بعضهم لبس التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكي وإنما قصده التحبب إلى الناس

الثانية: أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا، كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء، كالذي يرغب أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته، فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول

الثالثة: أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص، إنما بخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار كالذي يرى

جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يتصدقون أو يصومون الخميس والاثنين أن يُنسب إلى الكسل ولو خلا بنفسه لا يفعل شيئا من ذلك.[147]

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات، واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة وإظهارها فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله.[148]

وإنما لزمك ذلك بإقامة الإخلاص وذكر المنة الله والاجتناب عن ضده لأمرين:

أحدهما : لما في فعله من الفائدة وهو حسن القبول من الله تعالى وفوز الثواب عليه، وإلا فتكون مردودا ذاهبَ الثواب حكما كلا أو بعض، على ما روي في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم: أَنَا أَغْنَى الأَغْنِياءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِى فَنَصِيْبِيْ لَهُ, فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصًا.

ومن خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان:

أما الفضيحتان:

1. فضيحة السر

وهي اللوم على رؤوس الملائكة، وذلك لما روي: إِنَّ المَلَائِكَةَ تَصْعَدُ بِعَمَلِ العَبْدِ مُبْتَهَجِيْنَ بِهِ فَيَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى : رُدُّوْهُ إِلَى سِجِّيْنٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُرَدْنِي بِهِ، فيفتضح ذلك

[147] الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ، *قبس النور المبين*، (يوردني: دار الفتح لدراسة والنشر، 2016م)، ص 231-237.

[148] أبي حامد بن محمد الغزالي، *إحياء علوم الدين*، (بيروت: دار الحديث القاهرة، 2004)، 378.

العمل والعبد، وقيل: إن الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة إذا التمس ثواب عمله: ألم يوسع لك في المجالس؟ ألم تكن المرأس في الدنيا؟ ألم يرخص بيعك وشراؤك؟ ألم تكرم؟

2. فضيحة العلانية

وهي يوم القيامة على رؤوس الخلائق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الْمَرَائِي يُنَادَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءَ : يَا كَافِرُ، يَا فَاجِرُ، يَا خَاسِرُ، يَا غَادِرُ, ضَلَّ عَمَلُكَ وَبَطَلَ أَجْرُكَ، فَلَا خَلَاقَ لَكَ الْيَوْمَ فَالْتَمِسْ أَجْرَكَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ، وقيل: أنه ينادي مناد يوم القيامة يسمع الخلائق: أين الذين كانوا يعبدون الناس؟ قوموا خذوا أجوركم ممن كنتم عملتم له، فإني لا أقبل عملا خالطه شيء.

وأما المصيبتان:

1. فوات الجنة

وذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الجَنَّةَ تَكَلَّمَتْ وَقَلَتْ: أَنَا حَرَامٌ عَلَى كُلِّ بَخِيْلٍ وَمُرَاءٍ، والخبر يحتمل: أن هذا البخيل من يبخل بأقبح بخل وهو قولك: لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا المرائي من يرائي بأقبح رياء وهو المنافق الذي يرائي بإيمانه وتوحيده.

2. دخول النار

وذلك لما روى ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن النار وأهلها يعجون من أهل الرياء، قبل: يا رسول الله وكيف تعج النار؟ قال: من حر النار التي يعذبون بها.[149]

[149] أبو حامد بن محمد الغزالي، *منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين*، (بيروت لبنان: دار المنهاج، 2006م)، ص 222-225.

أهمية في أخلاق العبادة

إن حقيقة الإخلاص والرياء في العبادة وحكمهما في العمل:

فأعلم أن الإخلاص إخلاصان:

1. إخلاص العمل: فهو إرادة التقرب إلى الله تعالى وتعظيم أمره
2. إخلاص في طلب الأجر: فهو إرادة نفع الآخرة بعمل الخير.

وضد الإخلاص الرياء وهو إرادة نفع الدنيا بعمل الأخرة، ثم الرياء ضربان:

1. رياء المخلص: أن تريد به نفع الدنيا لا غير
2. رياء التخليط: أن تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الأخرة.

ان الأعمال في العبادة ثلاثة أقسام:

1. يقع فيه الإخلاصا جميعا، وهو العبادات الظاهرة الأصلية
2. لا يقع فيه شيء منهما، وهو الباطنه الأصلية
3. يقع فيه إخلاص طلب الأجر دون إخلاص العمل.

حقيقة في العبادة

تفسير سورة الفاتحة 4

قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين أي بمعونتك نعبدك لا بحولنا وقوتنا وإياك نستعين بتمام عبوديتك ودوام سترك علينا حتى نرى فضلك ولا ننظر إلى أعمالنا إياك نعبد بالمراقبة وإياك نستعين بكشف المشاهدة وايضا: إياك نعبد بعلم اليقين، وإياك نستعين بحق اليقين، وايضا: وإياك نعبد بالغيبة، وإياك نستعين بالرؤية، قال الأنطاكي: إنما يعبد الله على أربع: على الرغبة والرهبة والحياء والمحبة فافضلها المحبة والحياء ثم الرهبة ثم الرغبة.[150]

وكللك في مرتبة العبودية عشرة: أولها: معرفة الله تعالى بهذه المراتب والثاني: الإقرار بالربوية له تعالى وعبودية نفسه له، والثالث: معرفة النفس وخلوها عن مراتب الربوبية، والرابع: العلم باحتياجه إلى الله تعالى واستغناء الله تعالى عنه، والخامس: عبادة الله تعالى على ما اهله بأمره، والسادس: الاستعانة بالله تعالى في عبوديته بالتوفيق والقدرة والتعلم والإخلاص، والسابع: الدعاء بالخضوع والخشوع والشوق والمحبة، والثامن: الطلب لوجدان الله تعالى وصفاته ونعمه، والتاسع: الاستهداء عنه ليهتدى به وينعم عليه بإرشاده طريق الهداية. والعاشر: الاستدعاء منه بأن ينعم عليه، ولا يغضب فيرده إلى الضلالة وهذه المرائب كلها.[151]

---

[150] عبد القادر الجيلاني، *تفسير الجيلاني*، (باكستان: مكتبة المعرفية، 2010م)، جزء 1، ص 63.

[151] المرجع السابق، ج 1، ص 54.

أن أول عبادة الله عز وجل معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه بالكيف والجيش والأين، فبه استدل عليه، وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه، فبتوفيقه وقع التوحيد له، ومن توحيده وقع التصديق به، ومن التصديق به وقع التحقيق عليه، ومن التحقيق جرت المعرفة به.[152]

فالصدق موجود في حقيقة صفات الإرادة عند عبادة في اقامة حدود الأحوال في الظاهر مع حسن القصد إلى الله عز وجل في أول الفعل ثم في التورع والزهد والتوكل والرضا والمحبة والشوق والتوحيد لأهل الصلاة والعبادة.

واعلم أن روح جميع العبادات ومعناها إنما هو الحضور مع الله فيها، فمن خلت عباده عن الحضور فعبادته هباء منثور ومثل الذي لا يحضر مع الله في عبادته مثل الذي يهدي إلى ملك عظيم وصيفة ميتة، والله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الأجسام والظواهر وإنما ينظر إلى القلوب والسرائر.[153]

الحضور هو روح العبادة ومعناها وليس للعبادة معنى ولا قيمة إذا لم تَكن العبادة ذكرا لله وشمولية الذكر للعبادة كشمولية العبادة للحياة، فإن العبادة ما كانت إلا

---

[152] أبو القاسم الجنيد، *رسائل الجنيد*، (دار الكتب المصرية، 1988م)، ص 58.

[153] الحبيب عبد الله علوي الحداد، *رسالة آداب سلوك المريد*، (دار الحاوي، 1414هـ)، ص26.

للذكر، إذ إن جميع الأعمال إنما شرعت لإقامة ذكر الله تعالى والمقصود بها: تحصيل ذكر الله، كما قال الله تعالى: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي.[154]

إن الخضور والذكر لله إظهار منتهى الخضوع للمعبود والمعبود الواحد الذي له حق العبادة وليس ذلك سوى الله سبحانه فمعنى إياك نعبد في حقيقة العبادة كثير دراجات:

أ. الخشوع

الخشوع هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، وقال الإمام الجنيد: الخشوع تذلل القلب لعلام الغيوب، وحكى شيخ الإسلام ابن حجر عن الإمام فخر الرازي في تفسيره أن الخشوع تارة يكون من فعل القلب كالخشية وتارة من فعل البدن كالسكون، وقيل: هو معنى يقوم بالنفس عنه سكون في الأطراف يلائم مقصود العبادة.

وقال ابن القيم: الخشوع على ثلاث درجات:

1. التذلل للأمر والاستسلام للحكم والانتفاع النظر الحق، أما التذلل للأمر فهو إظهار الضعف والإفتقار للهداية، وأما الاستسلام للحكم فيشمل الحكم الشرعي بعدم معارضته برأي أو شهوة، وأما الاتضاء النظر الحق فهو اتضاع القلب والجوارح.

[154] سورة طه: 14.

2. ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضله، وذلك يجعل القلب خاشعا لا محالة لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصهما من الكبر والعجبه.
3. حفظ الحرمة عند المكاشفة وتصفية القلب من مراعاة الخلق، ويعني ذلك ضبط النفس.[155]

خشوع القلب يكون ذلك إقبال المسلم على العبادات كلها بكل جوارحه دون التفات لما حوله من أمور الدنيا بسكون قلبه وخضوعه لله عز وجل وتعلقه به، ومن الأسباب المعينة على ذلك أن يذكر أنه بين يدي الله وأنه يتلو كلامه وأن المعرفة الله سبحانه من أسباب المغفرة ومن أسباب دخول الجنة والسلامة من النار يتذكر هذه الأمور حتى يخشع قلبه وتدمع عينه يكون عند التلاوة قد أقبل على تلاوته خاشعا متدبرا يتذكر عظمة الله.

الأيات الواردة في الخشوع:

1. الخشوع بمعنى الذل

قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا.[156]

2. الخشوع بمعنى سكون الجوارح

---

[155] عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، *الذل والانكسار للعزيز الجبار*، (مصر: دار الرسالة القاهرة، 2009م)، ص 8.

[156] سورة طه: 108.

قوله تعالى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ # خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ.[157]

3. الخشوع بمعنى الخوف

قوله تعالى: فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ.[158]

4. الخشوع بمعنى التواضع

قوله تعالى: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.[159]

5. الخشوع بمعنى الجمود

قوله تعالى: وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ.[160]

الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في الخشوع:

1. قال عبد الله بن مسعود: من تواضع لله تخشا رفعه الله يوم القيامة ومن تطاول تعظما وضعه الله يوم القيامة

---

[157] سورة القلم: 42.

[158] سورة الأنبياء: 90.

[159] سورة ال عمران: 199.

[160] المرجع السابق، ص 10-12.

2. عن عمر بن الخطاب: أنه رأى رجلا طأطأ رقبته في الصلاة فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب
3. عن ابن عمر في قوله تعالى: والذين هم في صلاته خشعون، قال: كانوا إذا قاموا في الصلاة أقبلوا على صلاتهم وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم وعلموا أن الله يقبل عليهم فلا يلتفتون يمينا ولا شمالا
4. عن الحسن البصر في قوله تعالى: والذين هم في صلاته خشعون، قال: كان خشوعهم في قلوبهم فغضو بذلك أبصارهم وخفضوا بذلك الجناح
5. عن مجاهد في قوله تعالى: والذين هم في صلاته خشعون، قال: السكون
6. قال أبو يزيد المدني: إن أول ما يرفع عن هذه الأمة الخشوع
7. قال سهل التستري: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان.[161]
8. قال حذيفة: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وسئل بعضهم عن الخشوع، فقال: الخشوع قيام القلب بين يدي الحق سبحانه
9. قال محمد بن على الترمذي: الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم في قلبه فمانت شهوته وحي قلبه فخشعت جوارحه
10. وسئل الجنيد عن الخشوع فقال: تذلل القلوب لعلام الغيوب.[162]

---

[161] المرجع السابق، ص 17.

[162] أبو القاسم القشيري، *الرسالة القشيرية*، (مكتبة الترث والعلوم الإسلامية، 1409هـ)، ص 264-264.

واتفقوا على أن الخشوع محله القلب كالخضور والخضوع والذل، وذهب بعض العلماء أن الخشوع أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات، فمعنى إياك نعبد في حقيقة العبادة هو أن يكون مشغولا إلى حال العبادة وخضورا إلى الله في قلوبه وأفعاله وأقواله وغيرها لأنه لا معبد بحق سواه.

قال سيد عبد الله الحداد: الإحسان في الأعمال أهم من الأعمال عند المحققين من العارفين أرباب البصائر واليقين، وذلك أن إقامة صورة الأعمال صلاة وصيام وتلاوة من غير إحسان لها وإحكام لمعانيها الباطنة، وما يجب لله تعالى فيها من خشوع وحضور معه تعالى.[163]

والخشوع علم نافع يباشر القلب، فيوجب له السكينة والخشية والتواضع وكل أولئك رشح، كما في الدعاء: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع، ووصف الله المؤمنين بالخشوع في أشرف عباداتهم، وبيّن أن الخشوع طريق الفلاح في الدنيا والآخرة كماقال الله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ # الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ،[164] والأصل في الخشوع هو خشوع القلب ثم يخشع الجسد، وخشوع القلب بالتفكر بالآيات والأذكار وخشوع الجسد بالسكون وقلة الحركة بالصلاة.

ب. المراقبة

---

[163] الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، *الفصول العلمية الأصول الحكمية*، (دار الحاوي، 1413هـ)، ص 37.

[164] سورة المؤمنون: 1-2.

قال الله تعالى: وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيْبًا،[165] وروي: ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّد أَخْبِرْنِي عَنِ ٱلإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٱلإِسلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ وَتُقِيْمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً قَالَ : صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ ٱلإِيْمَانِ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ صَدَقْتَ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ ٱلإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

قال الإمام القشيري: هذا الذي قاله صلى الله عليه وسلم: فان لم تكن تراه فانه يراك، إشارة إلى حال المراقبة، لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه، وهذا أصل كل خير له ولا يكاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة، فاذا حاسب نفسه على ما سلف له وأصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق وأحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب وحفظ مع الله تعالى الأنفاس وراقب الله تعالى في عموم أحواله، فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب.

[165] سورة الأحزاب: 52.

وأقوال العلماء الواردة في الخشوع:

1. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول: سمعت الجربرى يقول: من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة
2. وقال بعضهم: من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه، قال الجنيد: من تحقق في المراقبة خاف فوت حضه من ربه عزا وجل لا غيرا
3. وقال ذو النون المصري: علامة المراقبة إيثار ما آثر الله تعالى وتعظيم ماعظم الله تعالى وتصغير ما صغر الله تعالى
4. وقيل: الرجاء يحركات إلى الطاعات، والخوف يبعدك عن المعاصي، والمراقبة تؤديات إلى طرق الحقائق
5. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادى يقول: سألت جعفر بن نصير عن المراقبة، فقال: مراعاة السر الملاحظة نظر الحق سبحانه مع كل خطرة وسمعته بقول: سمعت أبا القاسم البغدادي يقول: المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة
6. وسئل ابن عطاء: ما أفضل الطاعات؟ فقال: مراقبة الحق على دوام الأوقات، وقال إبراهيم الخواص: المراعاة تورث المراقبة والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية الله تعالى

7. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله، يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول: أفضل ما يلزم به الإنسان نفسه في هذه الطريقة: المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم.[166]

أن المراقبة هي التعبد لله بأسمائه: الرقيب فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة، الله سبحانه هو الرقيب يعلم أحوال عباده ويعد أنفاسهم حفيظ لا يغفل وحاضر لا يغيب.

ت. المحبة

المحبة: حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد، فالحق سبحانه يوصف بأنه يحب العبد والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه، والمحبة على لسان العلماء: هي الإرادة وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة، فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه كما أن رحمته له إرادة الإنعام، فالرحمة أخص من الإرادة والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى أن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام تسمى رحمة وإرادته لأن

[166] أبو القاسم القشيري، *الرسالة القشيرية*، (مكتبة التراث والعلوم الإسلامية، 1409هـ)، ص 332-335.

يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة، فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة.

وعبارات الناس عن المحبة كثيرة وتكلموا في أصلها في اللغة فبعضهم قال: الحب اسم الصفاء المودة، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان، وقيل: إنه مشتق من حباب الماء (بفتح الحاء) وهو معظمه فسمي بذلك لأن المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات، وقيل: هو مأخوذ من حبة وحبة القلب فسمى الحب حبا باسم محله وسمى الحب حبا لأنه لباب الحياة كما أن الحب لباب الثبات.[167]

وأقوال العلماء الواردة في المحبة:

1. قال الإمام الجنيد: الناس في محبة الله كل عام و خاص، فالعوام أحبوه لكثرة نعمة ودوام إحسانه، وأما الخواص فأحبوه لما عرفوا من صفاته وأسمائه الحسنى واستحق المحبة عندهم، لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم، وسئل الجنيد عن المحبة، فقال: دخول صفات المحبوب على البدل من صقات المحب والمحبة ميل القلوب، وعلامة كمال الحب دوام ذكره أي ذكر المحبوب في القلب بالفرح والسرور والشوق إليه والرضا بكل ما يصنع

[167] المرجع السابق، ص 520.

2. قال الحارث المحاسبي: المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب[168]

3. سئل أبي الحسن الشاذلي عن المحبة؟ فقال: المحبة أخذة من الله عبده عن كل شيئ سواه فترى النفس مائلة بطاعته والعقل محصنا بمعرفته والروح مأخوذة في حضرته والسر مغمور في مشاهدته.[169]

[168] أحمد فريد المزيدي، *الإمام الجنيد سيد الطائفين*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 2006م)، ص 272.

[169] أبو الحسن الشاذلي، *درة الأسرار وتحفة الأبرار*، (مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، 2001م)، ص 123.

أهمية في حقيقة العبادة

ومن منازل بوحدة الله في الأية: إياك نعبدكثير فبهذا يُذكر فيه ثلاثة أنواع:

1. خشوع القلب لله تعالى
2. مراقبة الله تعالى
3. محبة الله تعالى.

شريعة في العبادة

تفسير سورة الفاتحة 4

قوله عز وجل: إياك نعبد وإياك نستعين: إياك هو كناية عن اسم الله تعالى وفيه قولان: أحدهما أن أسم الله تعالى مضاف إلى الكاف، والثاني أنها كلمة واحدة كني بها عن اسم الله تعالى وليس فيها إضافة لأن المضمر لا يضاف.

وتعبد فيه ثلاثة تاويلات: أحدها أن العبادة الخضوع ولا يستحقها إلا الله تعالى، لأنها أعلى مراتب الخضوع، فلا يستحقها إلا المنعم بأعظم النعم كالحياة والعقل والسمع والبصر، والثاني أن العبادة الطاعة، والثالث أنها التقرب بالطاعة.[170]

فسرت العبادة في إياك نعبد بأنها التذلل والخضوع وهو أصل موضوع اللغة أو الطاعة أو التقرب بالطاعة أو الدعاء أو التوحيد، وقرنت الاستعانة بالعبادة للجمع بين ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى وبين ما يطلبه من جهته وقدمت العبادة على الاستعانة لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة لتحصل الإجابة، واطلق العبادة والإستعانة ليتناول كل معبود به وكل مستعان عليه، وكرر إياك ليكون كل من العبادة والاستعانة في جملتين وكل منهما مقصودة.[171]

---

[170] أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، *النكت والعيون تفسير الماوردي*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، جزء 1، ص 57.

[171] محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، *تفسير بحر المحيط*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية1993م)، جزء 1، ص 143.

تقريرات

العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، العبادة في الاصطلاح هي فعل المأمور به والفاعل عابد والجمع عباد وعبدة مثل كافر وكفار وكفرة، ثم استعمل العابد فيمن اتخذ إلها غير الله، العبادة شرعاً وهي يعني في مفهوم الفقه أي بالمصطلح الخاص مجموعة شعائر يقوم بها العبد، مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من الأحكام والتكاليف الشرعية، فالعبادة من الناحية الشرعية تعني امتثال أمر الله كما أمر والانتهاء عما نهى عنه شرعا، العبادة في الإسلام بالمصطلح هي اسمٌ يُطلق على كلّ ما يصدر عن الإنسان المسلم من أقوال وأفعال استجابةً لأمر الله تعالى، التي تتعلق بحياة الإنسان كفردٍ مستقل بذاته بل هي تشمل الحياة الفردية والحياة الاجتماعية، وتنتظم في إطار علاقة الفرد مع الله تعالى والعلاقة مع النفس والعلاقة مع الآخرين، وكل عملٍ حسنٍ يُقصد به وجه الله تعالى فهو عبادة لله تعالى سواء كان فردياً أم اجتماعياً.

العبادة بمفهوم العام تشمل جميع الأعمال النافعة التي يقوم بها الإنسان لمعاشه ومعاده لصالح نفسه ولصالح غيره ويدخل في ذلك كل عمل مباح أو مطلوب من جهة الشارع كالتجارة سعي للرزق وطلب العلم وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر، وأما العبادة بمفهوم الخاص فهي: أقوال وأفعال محددة يقوم بها الإنسان في هيئة محددة وأوقات محددة استجابة لأمر الله تعالى، فهذه ما أورداه الفقهاء فى كتب الفقه تحت أبواب العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك.

أ. عبادة محضة وغير محضة

قال الإمام إبن كثير في تفسيره سورة الفاتحة: العبادة في الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: العبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود، كما قال الله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[172]

كل عمل أذن فيه الشارع يستطيع المكلف أن يصيره عبادة وقصد التقرب والامتثال، وأن يصيره مجرد عادة إذا جرده لحظ نفسه ولم يراع في جانب التقرب إلى الله تعالى، فهنا تكون النية هي الحكم على العمل بأنه عبادة أو عادة.

العبادة بالمعنى العام هي عمل العبد الإختياري الموافق لطلب المعبود، فإذا كان عمله وافق طلب المعبود كان طاعة أو عملا صالحا، وإذا كان عمله مخالفا لطلب المعبود كان عمله معصية أو عملا غير صالح، وأما العبادة بمعنى الخاص فهي ما شرعه الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم بقصد التعبد لله تعالى والتقرب إليه على سبيل الوجوب أو الندب، والقصد الأول منها هي التعبد لله تعالى.

وقد جرى الفقهاء على الإطلاق العام للعبادة فبعضهم يقول الأحكام العملية الإختيارية إلى: عبادات والعادات، والإطلاق الخاص للعبادة فبعضهم يقول الأحكام العملية التكليفية إلى: عبادات ومعاملات.[173]

---

[172] سورة الذاريات: 56.

[173] أبي عمر دانانخ بن أحمد، *البدعة الحسنة عند الشافعية في العبادات*، (إندونيسيا: دار القروق، 2018م)، ص 174-176.

وأما التعبد يرجع إلى معنى الرجوع إلى ما حده الشرع، وهذا يكون فيما لم يظهر لنا جلبه لمصلحة أو درؤه المفسدة، فالأمر التعبدي هو عبارة عما لا نعلم علته ولا يعقل معناه على التفصيل في المأمور به أو المنهي عنه، والأحكام التعبدية هي التي لا تدرك حكمتها ولو كانت في مجال العبادات.

قال العز بن عبد السلام: المشروعات ضربان: أحدهما ما ظهر لنا أنه جالب لمصلحة أو دارئ لمفسدة أو جالب داري لمفسدة أو جالب دارئ لمصالحة ويعبر عنه بأنه معقول المعنى (عبادة غير محضة)، الضرب الثاني ما لم يظهر لنا جلبه لمصالحة أو درؤه لمفسدة ويعبر عنه بالتعبد (عبادة محضة)،[174] فالعبادة منها ما عرفت حكمته ومصالحه ومنها ما لم تعرف حكمته ومصلحته، فما عرفت حكمه ومصلحه سمي بمعقول المعنى وما لم تعرف حكمته ومصالحه سمي بالتعبد.

ذكر الشاطبي في الموافقات: أصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود، كالإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحاج وما أشبه ذلك، والعادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من جانب الوجود أيضا كتناول المأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكونات وما أشبه ذلك.[175]

وهناك تقسيم أخر للعبادة إلى العبادة المحضة وغير المحضة:

1. العبادات المحضة

---

[174] المرجع السابق، ص 179.

[175] أبي إسحاق محمد الشاطبي، *الموافقات في أصول الشريعة*، (العربية السعودية: دار إبن عفان، 1997م)، جزء 2، ص 19.

وهي العبادات دل الدليل من النصوص أو غيرها على تحريم صرفها لغير الله تعالى، أمثال في العبادات المحضة: إن الأركان الخمسة الأسس العملية والنظرية للإسلام كله، فالشهادتان هي الأساس العملي والنظري لكل ما عداها من الإسلام فما لم يشهد الإنسان أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله لا يلتزم بالاسلام ولذلك كانت الشهادتان الركن الأول لأنها اساس الأركان الإسلام، وأما الأركان الأربعة الأخرى فكل منها أساس لجانب من جوانب الإسلام فهي شريعة في الإسلام، فالصلاة والزكاة والصوم والحج هي الأساس العملي والنظري للجانب العبادي كله، وقد شرع لنا أن نعبده ووحده.[176]

2. العبادات غير المحضة

وهي الأعمال والأقوال التي ليست عبادات من أصل مشروعيتها ولكنها تتحول بالنية الصالحة إلى عبادات، أمثال في العبادات غير المحضة: فعل الواجبات والمندوبات التي ليست في الأصل من العبادات ومن ذلك النفقة على الزوجة وطلب العلم، فإذا فعلها مبتغياً وجه الله فإنه يثاب عليها، وفعل المباحات ابتغاء وجه الله: كالنوم والأكل وغيرها إذا نوى بها التقوي على الطاعة كانت عبادة يثاب عليها.

أن الأعمال ضربان: عادات وعبادات، وأما العادات فقد قال الفقهاء: إنها لا يحتاج في الإمتثال بها إلى نية كنفقة على الزوجات والعيال وغيرها، وأماالعبادات

[176] سعيد حوى، *الإسلام*، جزء 1، ص 20.

فليست النية بمشروطة فيها إطلاق أيضا، بل فيها تفصيل وخلاف بين أهل العلم في بعض صورها.[177]

العبادة امتثال ما أمر الله به واشترط النية ومعرِفة المعبود، وأما العادة لا تحتاج إلى النية فلا تَكون عبادة فِي الثواب إلا مع قصد الامتثال، والعادة تنقسم إلى قسمين:

1. العادة إلى العبادة هي مثاب عليه بالنية

أن هذا القسم يدخل فيه الأعمال الدنيوية فهي ليس من العبادة، مثل: الإنسان يأكل ليعيش فإما أن يأكل على سبيل العادة، وإما أن يأكل ليتقوى بالأكل على العبادة

2. العادة في العبادة هي المثاب عليه بغير نية

أن هذا القسم يدخل فيه الأعمال الدينية التي أصبحت عادة وثقافة مثل: سلاتان تهليلان الجاوية.

يميز العبادة عن العادة هو لزوم استحضار نية التقرب إلى الله تعالى في كل عبادة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: *إِنَّمَا* الأَعْمَالُ *بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا* لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى.

وأما الأمثلة في تقسيم العبادة، فهناك الكثير منها تعني إياك نعبد هو عبادة محضة وإياك نستعين هو عبادة غير محضة:

ب. عبادة محضة بدنية

---

[177] أبي إسحاق محمد الشاطبي، *الموافقات في أصول الشريعة*، (العربية السعودية: دار إبن عفان، 1997م)، جزء 3، ص 13.

1. الصلوات المفروضة

فرضت الصلوات الخمس بمكة ليلة الإسراء قبل الهجرة إلى المدينة بسنة في الأوقات المعروفة وهي وقت الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، أما كون الصلاة المذكورة فرضا من الفرائض التي لا يتحقق الإسلام إلا بها، فقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع أئمة الدين، فمن أنكر كونها فرضا فهو مرتد عن دين الإسلام بلا خلاف، قال الله تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا، معنى الكتاب المكتوب المفروض ومعنى الموقوت المحدد بأوقات معلومة، فكأنه قال: الصلاة مفروضة على المسلمين في أوقات معلومة للرسول الذي أمره الله أن يبين للناس ما نزل إليه من ربه، وقد كلف الله تعالى المؤمنين بإقامة الصلاة في كثير من آيات القرآن الكريم.

إن الذي ثبت بكتاب الله تعالى إنما هو فرضية الصلاة، أما كونها خمس صلوات بالكيفية المخصوصة فلا دليل عليه في القرآن، قد أمر النبي أن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر الناس أن يتبعوا ما جاءهم به الرسول، قال تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ.[178]

أما السنة الصحيحة الدالة على أن عدد الصلوات خمس فهي كثيرة بلغت مبلغ التواتر منها قوله صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِى مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لاَ يُبْقِى مِنْ

[178] سورة الحشر: 7.

دَرَنِهِ شَيْئًا, قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا، ولهذا فقد أجمع أئمة المسلمين على أن الصلوات المفروضة خمس صلوات.[179]

2. حكم تارك الصلاة

الحالة الأولى الترك مع الجحود: من وجبت عليه الصلاة وكان مسلما بالغا عاقلا طاهرة وترك الصلاة كان جاحدا لوجوبها أو مستخفا بها أو كان جاحدا بها وترك فعلها فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين، لأنها ثبتت بالأدلة القطعية ومعلومة من الدين بالضرورة، وهي الإسلام وأحد أركانه، ولأن هذا التارك كذب الله تعالى في خبره وكذب رسوله، فيأخذه الحاكم ويأمره بالتوبة والرجوع إلى الحق والصواب وأداء الصلاة فإن تاب قبلت توبته، وإلا قتل كفرا على أنه مرتد.

الحالة الثانية الترك لعذر: من ترك الصلاة غير جاحد لها وذلك بسبب عذر كنوم ونسيان ونحوهما فعليه القضاء فقط، كما سبق في شروط وجوب الصلاة ولا إثم عليه.

الحالة الثالثة الترك كسلا: إذا وجبت الصلاة على شخص وتركها بلا عذر كسلا فإنه يأثم بلا شك، لأنه يعتقد وجوبها ويأمره الحاكم بالأداء والقضاء عما سبق والتوبة عن معصية الترك، فإن أثبت على الترك وجبت عقوبته كسائر العقوبات الشرعية لارتكابه معصية كبيرة وتركه فريضة.

---

[179] عبد الرحمن الجزيري، *كتاب الفقه على مذاهب الأربعة*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 2003م)، جزء 1، ص 163-164.

والدليل على وجوب قتله ما رواه ابن عمر وأبو هريرة وأنس وغيرهم رضي الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلُوْا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم إِلاَّ بحَقِّ الإِسلامِ، وحِسابُهُمْ عَلى اللَّهِ.[180]

وذهب الإمام أحمد بن حنبل: ترك الصلاة كسلا إذا دعاه إمام لفعلها وأبى حتى تضايق وقت التي بعدها، بأن يدعي للظهر مثلا فيأبى حتى يتضايق وقت العصر عنها فيقتل كفرا، لقوله عليه الصلاة والسلام: بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ، ولقوله: الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ، قال عمر بن الخطاب: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، قال علي بن أبي طالب: من لم يصل فهو كافر، قال عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.[181]

فيمن ترك الصلاة كسلا قيل بكفره، إذا كان كافرا فماذا يكون مسلما بالشهادتين أم بفعل الصلاة؟ وإن كان بالصلاة فصلاته مع كفره لاتصح، فكيف يعود بها إلى الإسلام؟

---

[180] محمد الزحيلي، *المعتمد في الفقه الشافعي*، (دمشق: دار القلم، 2001.)، جزء 1، ص 156-157.

[181] عثمان بن عبد الله بن جامع الحنبلي، *الفوائد المنتخبات*، (بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة، 2003م)، جزء 1، ص 114-115.

قال الشيخ تقي الدين: أنه يصير مسلما بنفس الصلاة من غير احتياج إلى إعادة الشهادتين، لأن هذا كفره بالإمتناع من العمل ككفر إبليس بترك السجود وكفر تارك الزكاة بمنعها، فإذا عمل صار مسلما كما أن المكذب إذا صدق صار مسلما ومثل هذا الكافر تصح صلاته كما أن المكذب تصح شهادته فإن صلاته هي توبته من الكفر.[182]

أما تصيره مسلما بالصلاة فظهر فأما الكافر الأصلي او المرتد يصير مسلما بالشهادتان لو صلى حكم بإسلامه وإنما الكلام في صحة صلاته قبل تجديد الشهادتين.

ت. عبادة محضة مالية

1. الزكاة مشروعة

الزكاة اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة وتزكية النفس فإنها مأخوذة من الزكا، وهو النماء والطهارة والبركة، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية وقد فرضها الله تعالى بكتابة وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع أمته.[183]

---

[182] مجد الدين الحران، *المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*، (رياض: مكتبة المعارف، 1984م)، جزء 1، ص 34-35.

[183] السيد السابق، *الفقه السنة*، (مصر: دار المصرية الفتح للإعلام العربي)، جزء 1، ص 235.

الزكاة نوعان: زكاة المال وهي الأعم الأغلب عند الإطلاق وزكاة البدن تسمى زكاة الفطر أو صدقة الفطر، فرضت الزكاة في شعبان من السنة الثانية من الهجرة مع زكاة الفطر أو فرضت زكاة الفطر بعدها في رمضان من السنة الثانية.

الزكاة واجبة وفريضة يثاب فاعلها ويعاقب تاركها وثبت فرضيتها بالأدلة القطعية في الكتاب والسنة والإجماع، وصارت معلومة من الدين بالضرورة، ودليلها من القرآن: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا،[184] وقوله تعالى: وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ،[185] ودليلها من السنة: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ:أَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وأجمع المسلمون على فرضية الزكاة وأصبحت معروفة من الدين ضرورة فلا تحتاج إلى مزيد استدلال.[186]

2. حكم مانع الزكاة

يختلف حكم مانع الزكاة بحسب أحواله وهي:

الأول: إذا امتنع المسلم من أداء الزكاة منكرة لوجوبها، وكان ممن يخفى عليه ذلك، لم يحكم بكفره بل يعرف وجوبها

---

[184] سورة التوبة: 103.

[185] سورة البقرة: 43.

[186] محمد الزحيلي، *المعتمد في الفقه الشافعي*، (دمشق: دار القلم، 2001.)، جزء 2، ص 12.

الثاني: إذا وجبت الزكاة على المسلم وعرف أحكامها وامتنع من أدائها وجحد وجوبها فقد كفر ويقتل بكفره، كما يقتل المرتد بإجماع العلماء، لأن فرضية الزكاة ثبتت بالأدلة القطعية وصارت معلومة من الدين بالضرورة، فمن جحد وجوبها بعد الاعتراف بها فقد كذب الله تعالى وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم فيحكم بكفره، قال النووي رحمه الله: فإن أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان كان كافرا بإجماع المسلمين، وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: وأما أصل فرضية الزكاة فمن جحدها كفر.

الثالث: إذا منع المسلم الزكاة بخلا بوجوبها وإقراره بفرضيتها، فهو عاص وفاسق وآثم وله عقاب شديد في الآخرة، ودليل ذلك قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.[187]

ث. عبادة غير محضة سنة

1. تواسل

خطئ كثير من الناس في فهم حقيقة التوسل، مفهوم التوسل الصحيح في هذه الحقائق:

أولا: أن التوسل هو أحد طرق الدعاء وباب من أبواب التوجه إلى الله سبحانه وتعالى فالمقصود الأصلي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، والمتوسَّل

[187] المرجع السابق، ج 2، ص 14-15.

به إنما هو واسطة ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ومن اعتقد غير ذلك فقد أشرك

ثانيا: أين المتوسِّل ما توسل بهذه الواسطة إلا لمحبته لها واعتقاده أن الله سبحانه وتعالى يحبها

ثالثا: أن المتوسل لو اعتقد ان من توسل به إلى الله ينفع ويضر بنفسه مثل الله أو دونه، فقد أشرك

رابعا: أن التوسل ليس أمرا لازما او ضروريا وليست الإجابة متوقفة عليه، بل الأصل دعاء الله تعالى مطلقا.

لم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة، فمن صام أو صلى أو قرأ القرآن أو تصدق، فإنه يتوسل بصيامه وصلاته وقراءته وصدقته، بل هو أرجى في القبول وأعظم في نيل المطلوب.[188]

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ،[189] والوسيلة: كل ما جعله الله سببا في الزلفي عنده ووُصْلة إلى قضاء الحوائج منه، ولفظ الوسيلة عام في الآية كما ترى فهو

[188] السيد محمد بن علوي المالكي الحسني، *مفاهيم يجب أن تصحح*، (مصر: دار الجوامع الكلم)، ص 59.

[189] سورة المائدة: 35.

شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات وبالإتيان بالأعمال الصالحة على الوجه المأمور به.[190]

أن الشيخ ابن تيمية في بعض المواضع من كتبه أثبت جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم دون تفريق أو تفصيل بين حياته وموته وحضوره وغيابه ونقل عن الإمام أحمد والعز ابن عبد السلام جواز ذلك، كذلك مما يشرع التوسل به صلى الله عليه وسلم في الدعاء كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه: أن النبي صلى الله عليه وسلم علّم شخصا أن يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِيْ هَذِهِ لِتُقْضَى لِي ، اَللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ.[191]

وقال الشوكاني: عندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التواسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لأمرين: الأول ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والثاني أن التواسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون فاضلا إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعلم الفلانى فهو بإعبار ما قام به من العلم.[192]

ج. عبادة غير محضة عادة

---

[190] المرجع السابق، ص 61.

[191] المرجع السابق، ص 76-77.

[192] المرجع السابق، ص 86.

1. مولد النبي

أن إحياء الذكريات التاريخية الإسلامية كمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثته وهجرته ووفاته وغزواته وفتوحه وإسرائه ومعراجه ليس عبادة ولا علاقة له بالعقيدة بإطلاق، لأنه مجرد احتفال بذكر هذا الموقف التاريخي أو تلك الحادثة التاريخية من أجل تذكير المسلمين في القرون الأخيرة حيث نسي المسلمون رسولهم، تذكيرهم بكتاب ربهم وسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم لبعث الهمم نحو الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والاهتداء بالقرآن.

أن تتفكر في حقيقة الاحتفال بإحدى الذكريات الإسلامية ومنها المولد النبوي، إن الإحتفال يبدأ بتلاوة بعض آيات القرآن ثم خطبة عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تلقى بعض القصائد في مدحه عليه الصلاة والسلام ويصلى عليه بالصلوات المشروعة.

أما ما يزعمه بعض العلماء المنكرين للاحتفال بالمولد النبوي من أن هناك بدعا ومنكرات هذه الاحتفالات النبوية فليس صحيحة، لأن الاحتفال بالذكريات الإسلامية النبوية ضروري، قد فعله الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه، واعترف به حين سئل: لماذا يصوم الاثنين من كل أسبوع؟ فأجاب: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ، أي هو يوم ميلاده ويوم مبعثه كما أنه أيد اليهود في صيام عاشوراء عندما ذكروا له أنه اليوم الذي أنجي الله فيه موسى من فرعون وأغرق فرعون، ثم صامه صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه.

أن الاحتفال بالذكريات الإسلامية لا صلة بالعبادة ولا بالعقيدة ولا تأثير له عليهما فهؤلاء المحتفلون بذكرى المولد أو البعثة أو الهجرة أو الإسراء والمعراج، لا يعبدون محمد ولا يصلون له كما النصارى المسيح إذ جعلوه ثالث ثلاثة وإنما هو عندهم رسول الله وحبيبه ورحمته المهداة إلى الناس أجمعين.[193]

إن أول المختلين بالمولد هو صاحب المولد وهو النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: لما سئل عن صيام يوم الاثنين قال صلى الله عليه وسلم: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، فهذا أصح وأصرح نص في مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

الأول: قول الحافظ ابن حجر العسقلاني

قال الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد ابن حجر العسقلاني: وقد ظهر الي تخريجه على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى، فقال صلى الله عليه وسلم: نَحْنُ أَوْلَى بِمُوْسَى مِنْكُمْ.

فيستفاد منه: فعل الشكر لله على ما مَنَّ به في يوم معين والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة وتلاوة القرآن، وأي نعمة أعظم

---

[193] السيد محمد بن علوي المالكي الحسني، *الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عليه الصلاة والسلام*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 2005م)، ص 161-162.

من نعمة هذا النبي صلى الله عليه وسلم، نبي الرحمة في ذلك اليوم، قال تعالى: قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

الثاني: قول الحافظ جلال الدين السيوطي

وقال الحافظ السيوطي: وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر، وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تُعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريع لأمته، فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم باجتماع الإخوان وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات.

الثالث: قول الحافظ شمس الدين ابن الجزري

وقال الحافظ السيوطي: ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس ابن الجزري قال كتابه المسمى: عرف التعريف بالمولد الشريف، ما نصه: قد رُئي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه يُخفف عني كل ليلة اثنين وإن ذلك بإعتاقي لثَوِيبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم.

فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه (في النار) بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به، فما حال المسلم الموحد من أمة النبي صلى

الله عليه وسلم يُسَرُّ بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم؟

الرابع: قول الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي

وقال الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه المسمى: مورد الصادي في مولد الهادي: قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين الإعتاقه ثويبة سرورا بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أنشد:

إذا كان هذا كافرة جاء ذمه # بتبت يداه في الجحيم مخلدا

أتى أنه في يوم الاثنين دائما # يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذي طول عمره # بأحمد مسرورا ومات مؤحدا.[194]

[194] المرجع السابق، ص 11-13.

أهمية شريعة في العبادة

عبادات المشروعات ضربان:

1. عبادة محضة
2. عبادة غير محضة

حكم العبادات الامتثال لأمر الله تعالى وتطبيق شرعه، وتنقسم إلى قسمين هما:

1. المثاب عليه بالنية
2. المثاب عليه بغير نية، وأنه أما عبادة وأما عادة.

عبادة محضة نوعان:

1. العبادات البدنيّة: كالصلاة ذات أقوال وأفعال مخصوصة
2. العبادات المالية: إنفاق المال في وجهه المشروع، وأداء حقّ الله فيه، كالزّكاة مثلا وغيرها.

عبادة غير محضة:

1. معاملة
2. عادة.

أديان

تفسير الفاتحة 5-7

قوله اهدنا الصراط المستقيم: قال ابن عباس رضي الله عنه: اهدنا يعني أرشدنا الصراط المستقيم وهو الإسلام، فإن قيل: أليس هو الطريق المستقيم؟ وهو الإسلام فما معنى السؤال؟ قيل له: الصراط المستقيم هو الذي ينتهي بصاحبه إلى المقصود، فانما يسأل العبد ربه أن يرشده إلى الثبات على الطريق الذي ينتهي به إلى المقصود، ويعصمه من السبل المتفرقة، وقد روي عن عبد بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا، وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ خَطًّا، وَخَطَّ عَنْ يَسَارِهِ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا فَقَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَقَرَأَ: أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، وفي هذا نزلت هذه الآية: وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ،[195] فلهذا قال: اهدنا الصراط المستقيم واعصمنا من السبل المتفرقة قال الكلبي: أمتنا على دين الإسلام، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: اهدنا الصراط المستقيم يعني ثبتنا عليه ومعنى قول على: ثبتنا عليه يعنى احفظ قلوبنا علي ذلك ولا تقلبها بمعصيتنا وهذا موافق لقول الله تعالى: وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا فكذلك ههنا.

---

[195] سورة الأنعام: 153.

قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم: طريق الذين حفظت قلوبهم على الإسلام حتى ماتوا عليه، عن عاصم وعن أبي العالية في قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم قال: هو النبي عليه السلام وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

قوله تعالى: غير المغضوب عليهم ولا الضالين أي غير طريق اليهود والنصارى، وقد أجمع المفسرون أن المغضوب عليهم أراد به اليهود والضالين أراد به النصارى، فإن قيل: أليس النصارى من المغضوب عليهم؟ واليهود أيضا من الضالين؟ فكيف صرف المغضوب إلى اليهود وصرف الضالين إلى النصارى؟ قيل له: إنما عرف ذلك بالخبر واستدلالا بالآية: فَأَمَّا الخَبَرُ فَمَا رُوِيَ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ وَهُوَ بِوَادِيْ القُرَى مَنْ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: الْيَهُودِ, قَالَ: مَنْ الضَّالِّينَ؟ فَقَالَ: النَّصَارَى.[196]

اختلفوا في المراد بالصراط المستقيم على أربعة أقاويل:

أحدها: أنه كتاب الله تعالى، وهو قول علي وعبد الله

والثاني: أنه الإسلام، وهو قول جابر بن عبد الله ومحمد بن الحنفية

والثالث: أنه الطريق الهادي إلى دين الله تعالى الذي لا عوج فيه، وهو قول ابن عباس

---

[196] أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، *تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 1413ه)، جزء 1، ص 82-83.

والرابع: هو رسول الله وأخيار أهل بيته وأصحابه، وهو قول الحسن البصري وأبي العالية.

وفي قوله تعالى: الذين أنعمت عليهم خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم الملائكة

والثاني: أنهم الأنبياء

والثالث: أنهم المؤمنون بالكتب السالفة

والرابع: أنهم المسلمون

والخامس: هم النبي صلى الله علبيه وسلم ومن معه من أصحابه

وأما قوله: غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقد روى عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله عن المغضوب عليهم ، فقال: هم اليهود، وعن الضالين فقال: هم النصارى.

وهو قول جميع المفسرين وفي غضب الله عليهم أربعة أقاويل:

أحدها : الغضب المعروف من العباد

والثاني : أنه إرادة الإنتقام ، لأن أصل الغضب في اللغة هو الغلظة، وهذه الصفة لا تجوز على الله تعالى

والثالث : أن غضبه عليهم هو ذمه لهم

والرابع : أنه نوع من العقوبة سمي غضبا كما سميث نعمه رحمة

والضلال ضد الهدى وخص الله تعالى اليهود بالغضب، لأنهم أشد عداوة.[197]

تقريرات

أ. صراط المستقيم : الإسلام

نبي محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، وهذا ما أجمع عليه المسلمون وعرف من الدين بالضرورة، قال عليه الصلاة والسلام: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

وأما دعوته الله وعلاقتها بدعوات الأنبياء السابقين فقائمة على أساس التأكيد والتيم، وبيان ذلك أن دعوة كل نبي تقوم على أساسين اثنين: الأول العقيدة والثاني التشريع والأخلاق.

فأما العقيدة فلم يختلف مضمونها منذ بعثة آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، إنما هي الإيمان بوحدانية الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الصفات والإيمان باليوم الآخر والحساب والجنة والنار، فكان كل نبي يدعو قومه إلى الإيمان بهذه الأمور وكان كل منهم يأتي مصدقا لدعوة من قبله،

---

[197] أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، *النكت والعيون تفسير الماوردي*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية)، جزء 1، ص 57.

الا الدَينونة لله عز وجل وحده وهذا مابينه الله تعالى بقوله في كتابه الكريم: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ،[198] بل إنه لا يتصور أن تختلف دعوات الأنبياء الصادقين في شان العقيدة، لأن أمور العقيدة من نوع الإخبار، والإخبار عن شيء لا يمكن أن يختلف مابين مخبر وآخر إذا فرضنا الصدق في خبر كل منها فمن غير المعقول أن يُبعث أحد الأنبياء ليبلغ الناس أن الله ثالث ثلاثة، سبحانه عما يقولون ثم يُبعث من بعده نبي آخر ليبلغهم بأن الله واحد لا شريك له ويكون كل منهما صادقا في بلغ عن الله تعالى، هذا عن العقيدة.

أما التشريع وهو سنّ الأحكام التي تنظيم حياة المجتمع والفرد، فقد كان يختلف في الكيف ما بين بعثة نبي وأخر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسبب ذلك أن التشريع من نوع الإنشاء لا الإخبار، ثم من المفروض أن يكون للتطور الزمني ولاختلاف الأمم والأقوام أثر في تطور التشريع واختلافه بسبب أن أصل فكرة التشريع قائم على أساس ما تقتضيه مصالح العباد في دنياه وآخرتهم، هذا إلى أن بعثة كل من الأنبياء السابقين كانت خاصة بأمة معينة ولم تكن عامة الناس كلهم، فكانت الأحكام التشريعية محصورة.

فقد بعث موسى عليه السلام مثلا إلى بني إسرائيل وكان الشأن يقضي بالنسبة لحال بني إسرائيل إذ ذاك أن تكون شريعتهم شديدة قائمة في مجموعها على

[198] سورة الشورى: 13.

أساس العزائم لا الرخص، ولما مرت الأزمنة وبعث فيهم عيسى عليه السلام كان يحمل إليهم شريعة أسهل وأيسر ما كان قد بعث به موسى من قبل، كما قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام وهو يخاطب بني إسرائيل: وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ،[199] فقد بيّن لهم أنه فيما يتعلق بأمور العقيدة مصدق لما جاء في التوراة ومؤكد له ومجدد للدعوة إليه، أما بالنسبة للتشريع وأحكام الحلال والحرام فقد كلف ببعض التغييرات وإيجاد بعض التسهيلات ونسخ بعض ما كانوا يعانونه من الشدة في الأحكام.

فأما العقيدة فعمله بالنسبة لها ليس سوى التأكيد للعقيدة ذاتها التي بعث بها الرسل السابقون دون أي اختلاف أو تغيير، وأما التشريع فإن شريعة كل رسول ناسخة للشريعة السابقة إلا ما أيده التشريع المتأخر أو سكت عنه، وأنه لا توجد أديان معاوية متعددة وإنما توجد شرائع سماوية متعددة نسخ اللاحق منها السابق إلى أن استقرت الشريعة السماوية الأخيرة التي قضت حكمة الله أن يكون مبلغها هو خاتم الأنبياء والرسل أجمعين.

أما الدين الحق فواحد، بعث الأنبياء كلهم للدعوة إليه وأمر الناس بالدَّينونة له منذ آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ألا وهو الإسلام:

[199] سورة ال عمران: 37.

1. بُعث إبراهيم وإسماعيل ويعقوب، يقول الله تعالى: وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ[200]
2. بعث موسى إلى بني إسرائيل، يقول الله تعالى عن سحرة فرعون: وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ[201]
3. بعث عيسى عليه الصلاة والسلام، يقول الله تعالى: فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.[202]

قد يقال: فلماذا يحتفظ الذين يدعون نسبتهم إلى موسى عليه الصلاة والسلام بعقيدة خاتمة تختلف عن عقيدة التوحيد التي بعث بها الأنبياء كلهم؟ ولماذا يؤمن الذين يدعون نسبتهم إلى عيسى عليه الصلاة والسلام بعقيدة خاصة أخرى؟

والجواب على هذا ما قاله الله عز وجل في كتابه الكريم: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ،[203] وما قاله أيضا: وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ،[204] فالأنبياء كلهم بعثوا بالإسلام الذي

---

[200] سورة البقرة: 132.
[201] سورة الأعراف: 126.
[202] سورة ال عمران: 52.
[203] سورة العمران: 19.
[204] سورة الشورى: 14.

هو الدين عند الله وأهل الكتاب يعلمون وحدة الدين ويعلمون أن الأنبياء إنما جاؤوا ليصدق كل واحد منهم الآخر فيما بعث به من الدين.[205]

إنما نذكر أخبار الأنبياء المبشرة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم:

1. ما جاء في التوراة

إن الله لموسى بن عمران: إني أقيم لبني إسرائيل من أخوتهم نبي مثلك، أجعل كلامي على فيه فمن عصاه إنتقمت منه فإن قلت: إن ذلك إنما هو يشوع بن نون قلنا: لا، فقد قال في أخر التوراة: لا يخلف من بني إسرائيل نبي مثل موسى لكن من إخوة بني إسرائيل أنهم العرب (الاصحاح: ١٨)[206]

2. ما جاء في الزبور

قال الله تعالى لداود عليه السلام في المزمور الخامس: اسمع ما أقول ومر سليمان فليقله للناس من بعدك: أن الأرض لي أورثها محمد وأمته، فهم خلافكم لأم تكن صلاتهم بالطنابير ولا قدسوني بالأوتار (المزمور: 5)

3. ما جاء في الإنجيل

أن المسيح قال: سينفعكم ذهابي لأني أن لم يذهب لم يأتكم البرقليط وإن ذهبت سأبعثه إليكم (يوحفا: 15)[207]

---

[205] محمد سعيد رمضان البوطي، *فقه السيرة النبوية*، (دمشق سورية: دار الفكر، 1991م)، ص 51-55.

[206] أبو عبد الله محمد القرطبي، *الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام*، (مصر: دار التراث العرابي)، ص 263.

[207] المرجع السابق، 268.

4. ما جاء في القرأن

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (الصف: 6).

ب. المغضوب : اليهود

إن دراسة تاريخ بني إسرائيل يشكل ركنا مهما في دراسة العقيدة اليهودية حيث حرفوا الوحي الإلهي بالتوراة الأصلية الضائعة التي أنزلت على موسى عليه السلام، فقد تغيرت العقيدة اليهودية بأيديهم على مراحل تاريخ الإسرائيليين، وغيرها في كتبهم منها التلمود، قيل الأسفار الخمسة بالتوراة مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة، تعكس الأفكار والنظم المتعددة في مختلف ادوار تاريخهم الطويل.

كذلك يوضح بتاريخهم فدخلوا مصر ونفر منهم المصريون وعادوا إلى كنعان ونفر منهم الكنعانيون حتى انقسموا بعده قسمين: إلى الشمال وإلى الجنوب وحفظت كتبهم ما قاله الشماليون في الجنوبين وما قاله الجنوبيون في الشماليين ثم سباهم البابليون وحملوهم إلى أرض بابل، حتى كل بلد ما حدث في البلد الآخر.[208]

واتفق العلماء والمتدينون هي مغضوب وملعون ظاهرة لأنها ما عهدنا من الخصومة التقليدية في بلاد العالم أحدها: أمريكى وإسرائيل على المسلمين الفلسطين.

[208] مصطفى حلمي، *الإسلام والأديان*، (مصر: دار إبن الحوزي القاهرة، 2005م)، ص 152.

ت. الضالين : النصارى

النصارى انتقلوا من رسالة سماوية إلى ألوهية عيسى بن مريم فغيروا الحقائق وحرفوا الآيات ومعانيها، ولم يلتزم أدعياء التبعية للمسيح بما جاء في الإنجيل، فالإنجيل القديمة نفسها لم تدع الألوهية لعيسى.

أما المسيحية فهي كذلك تطلق على أتباع المسيح عليه السلام على أنه لا ينبغي إطلاقها الآن على النصارى لأن هؤلاء في الواقع لا يتبعون المسيح عليه السلام، ولذلك لم نجد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم تسميتهم وقد أطلق عليهم القرآن أنهم نصارى كما سماهم كذلك أهل الكتاب وأهل الإنجيل،[209] أن عقيدة النصارى قائمة على التثليث، وأن الله مركب من ثلاثة أقانيم: الأب والابن والروح القدس، ونحن نقول لهم: هل الابن أزلي أم حادث فإن قالوا إن الابن أزلي فهم يعبدون إلهين متساويين، وإن قالوا إن الابن حادث، فهذا يثبت أن الابن مخلوق وليس إلها.

والرياضيات كعلم إيجابي تُعلمنا أن الوحدة ليست أكثر من واحد ولا أقل وأن واحدا لا يمكن أن يساوي واحدا + واحدا + واحدا، ولا يمكن أن يكون الواحد المساويا لثلاثة لأن الواحد هو ثلث الثلاثة وقياسا على ذلك فإن الواحد لا يساوي الثلث، وبالعكس فإن الثلاثة لا تساوي واحدا كما أنه لا يمكن للثلث أن يساوي الوحدة، والذين يقولون بوحدانية الله في ثالوث من الأشخاص إنما

[209] أحمد بن عبد العزيز الحصين،النصرانية، (مكتبة الإيمان،2011)، ص 7.

يقولون لنا: إن كل شخص هو إله قدير موجود دائم أزلي وكامل، ولكنه لا توجد ثلاثة آلهة قادرين وموجودين ودائمين وأزليين وكاملين،

إله واحد + إله واحد + إله واحد = إله واحد

كذلك فإن إلها واحدا = ثلاثة آلهة، لأنه لا يمكن لإله واحد أن يساوي ثلاثة آلهة، بل يساوي واحدا منها فقط.[210]

[210] مصطفى حلمي، *الإسلام والأديان*، (مصر: دار إبن الحوزي القاهرة، 2005م)، ص 245.

أهمية الإسلام والأديان الأخرى

الإفتراق بين الإسلام وأديان الأخرى في الآتي:

1. الإسلام دين يؤمن بوحدة الله: تؤمن الأديان إما بوجود إله ليس بوحدة الله
2. الإسلام دين لديه مفهوم متكامل عن الله والأديان تصنف إلى دين تحدث عن الإله
3. الإسلام دين السماوي غير شركي: كل الأديان تقوم على عبادة أكثر من إله أما الإسلام فبخالفهم في ذلك.
4. إلإسلام دين غير وضعي: الهندية والبوذية لا تدعي اتباع الوحي المباشر فهو دين تقليدي متوارث، والإسلام دين قائم على الوحي إن أتبع إلا ما يوحي إليّ
5. الإسلام توحيد خالص: الإيمان بالتوحيد والوحي والنبوة والجزاء الأخروي، فلا يوجد تثليث ولا ألوهية لنبي ولا يجد في إنكار رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما النصراني واليهودي في التصنيف تحت الأديان السماوية والأديان التوحيدية.

أصول الإسلام في سورة الفاتحة

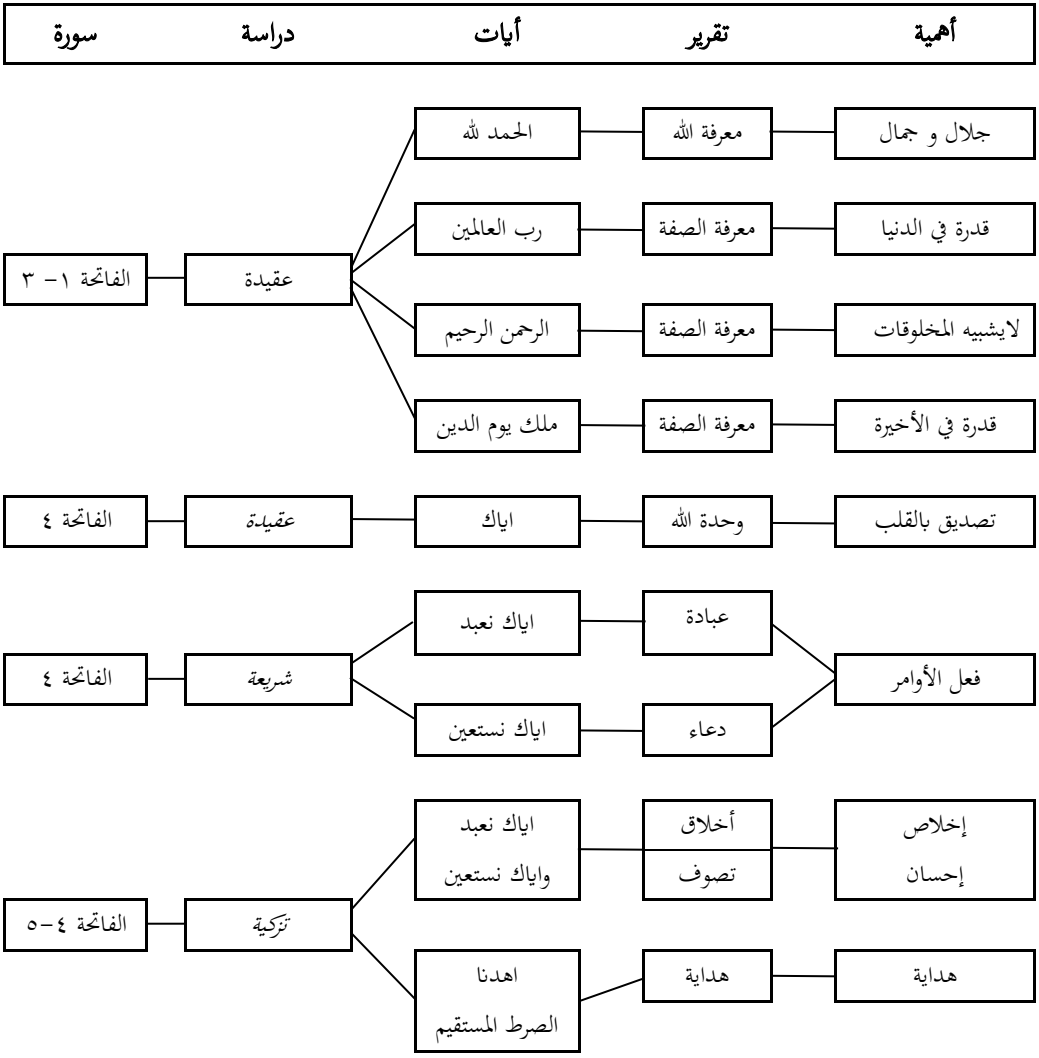

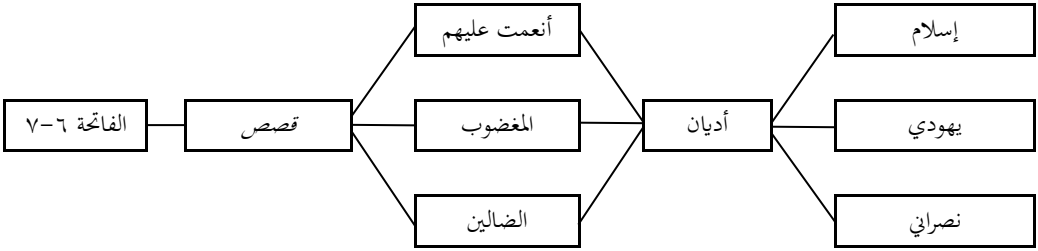

أختم الكتاب بفضل الله تعالى

وبركة نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم